

# المملكة العربية السعودية

في  
عيون أوائل المصورين



الهيئة العامة  
لتنظيم مطبوعات الصحافة

وليام فيسي  
وجيليان غرانت



# المملكة العربية السعودية في عيون أوائل المصورين



سوق الخميس، الهفوف، الأحساء  
(كوكس ١٣٢٣/٥م ١٩٠٥م)



الهيئة العامة  
لتنمية المدينة الرياضية

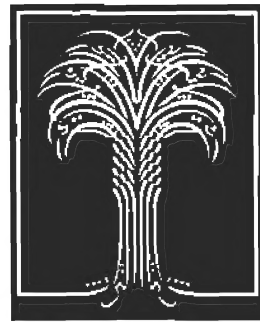






# المملكة العربية السعودية في عيون أوائل المصورين

تأليف  
وليام فيسي  
وجيليان غرانت



الطبعة الثانية ١٤١٧/١٩٩٦ م





الصورة السابقة: مخيم لقبيلة الروثة (رسوان حوالي ١٣٤٥/١٩٢٦م)  
هذه الصورة: قلعة الشيخ علي وجامعه في مروة، جبل فيفا، أحد الجبال العالية في تهامة عسير (فيلس ١٣٥٥/١٩٢٦م)  
الصورة التالية: منظر عام للمدينة المنورة عام ١٣٢٥/١٩٠٧م (ميرزا واولاده)





المملكة العربية السعودية في عيون أوائل المصورين

تأليف وليام فيسي وجيليان غرانت

الناشر: التراث

ص.ب. ٦٨٢٠٠٧ الرياض ١١٥٢٧، المملكة العربية السعودية

تحرير: لزلي ماكلوكاين

د. زاهر عثمان

مراجعة: د. زاهر عثمان

د. فهد السماري

المدير الفني: جون فيتزموريس

حقوق الطبع للترجمة العربية: مركز لندن للدراسات العربية ١٤١٧ (١٩٩٦م) كل الحقوق محفوظة  
ولا يمكن لأحد نسخ أي جزء من هذا الكتاب أو تخزينه في جهاز استساخ أو نشره بأية صورة إلكترونية أم ميكانيكية أو  
فوتوغرافية أو بغير ذلك، دون الإذن المسبق من أصحاب حقوق الطبع.

بيانات تصنيف المكتبة البريطانية

هناك مصنف لهذا الكتاب في المكتبة البريطانية

آي إس بي إن ١٦٠٩-٤٠٤٠٠١٩٠٠

تصنيف مكتبة الملك فهد الوطنية

مؤسسة التراث، ١٤١٧ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

فيسي، وليام

المملكة العربية السعودية في عيون أوائل المصورين / وليام فيسي، جيليان غرانت؛ ترجمة زاهر بن عبد الرحمن عثمان،

لزلي ماكلوكاين... الرياض.

١٢٨ ص ٢٢٤ × ٢٨,٥ سم

ردمك: ٠-٧٢٥-٣١-٩٩٦٠

١- السعودية - مدن وفقرى ٢- السعودية - جغرافيا ٣- السعودية - وصف ورحلات

أ- غرانت، جيليان (م. مشارك) ب- عثمان، زاهر بن عبد الرحمن (مترجم) ج- ماكلوكاين، لزلي (مترجم) د- العنوان

ديوي ٩١٥.٣١ ٩١٥.٣١ ١٧/٢٠٢٧

رقم الإيداع: ١٧/٢٠٢٧

ردمك: ٠-٧٢٥-٣١-٩٩٦٠

الصف: كومبيوترايب، لندن

فرز الألوان والطباعة والتجليد: المطبعة الشرقية، دبي.



## المحتويات

٧	المقدمة	٢٦	المنطقة الغربية
٨	الفصل الأول		الحجاز ومكة المكرمة والمدينة المنورة
	التصوير الفوتوغرافي والمملكة العربية السعودية في سنوات نشأتها	٥٦	المنطقة الوسطى من شبه الجزيرة العربية: البدو والحضر في نجد
	١٢٧٨ - ١٣٧٣		
	وليام فيبي	٧٤	المنطقة الشمالية
١٨	الفصل الثاني		حائل والنفود والجوف
	قرن من التصوير خلال قرن من التغير	٩٢	المنطقة الشرقية
	جيليان غرانت		الصحراء والساحل: واحة الأحساء والقطيف
٢٤	بيان الملكية الفكرية للصور	١٠٨	المنطقة الجنوبية الغربية
٢٥	خريطة لشبه الجزيرة العربية		جبال عسير ونجران وتهامه
		١٢٥	المراجع
		١٢٧	الفهرست









## الفصل الأول

# التصوير الفوتوغرافي والمملكة العربية السعودية في سنوات نشأتها (١٢٧٧-١٣٧٣، ١٨٦١-١٩٥٣م)

وليام فيسي

الهيثم قد وصف في إحدى كتاباته كيف يكون من شأن ثقب على النافذة الموصدة لغرفة مظلمة أن يجعل صورة من العالم الخارجي تبدو مقلوبة على حائط مقابل. وكذلك أوضح الصلة بين حجم الفتحة ووضوح معالم الصورة.

كانت «الغرفة المظلمة» camera obscura معروفة بحلول القرن التاسع (الخامس عشر الميلادي) واستخدمها معماريوما يسمى بعهد النهضة أمثال برونيلشي Brunelleschi، وفي عام ٩٩٧ (١٥٨٨م) وصف المعماري جيوفاني باتيستا ديلا بورتا Giovanni Battista della Porta جدواها كعامل مساعد في الرسم وبحلول بداية القرن الثالث عشر (التاسع عشر الميلادي)

أصبحت تلك الآلة ذات شعبية لدى الفنانين كما أصبحت أداة تسلية، وفي هذه المرحلة تحديداً بدأ العديد من الفنانين والعلماء يسعون إلى تثبيت الصور التي تظهرها تلك الآلة، وقد أدى ذلك إلى التجارب الناجحة التي أجراها داغوير Daguerre وفوكس تالبوت Fox-Talbot بين عامي ١٢٥٥ و ١٢٥٧ (١٨٣٩ و ١٨٤١م)، وهكذا فإن الأوروبيين لم يخترعوا آلة التصوير في حد ذاتها ولكنهم اكتشفوا المعالجات الكيميائية التي مكنت من تثبيت الصورة وتحقيق التطور اللازم في البصريات، ويسرت التحكم في درجة

وضوح الرؤية وفي قدر الضوء النافذ إلى آلة التصوير.

جذبت منطقة الشرق الأوسط بعد عام ١٢٥٧ (١٨٤١م) عدداً من أوائل المصورين الأوروبيين، وكانت مصر وفلسطين وسوريا محط اهتمامهم ليس بسبب آثارها الباهرة وتداعياتها الإنجيلية فقط وإنما بسبب أهميتها الاستراتيجية لبريطانيا وأوروبا. جذبت إسطنبول، العاصمة العثمانية، المصورين كذلك، وأدركت الحكومتان العثمانية والفارسية بسرعة إمكانيات هذه الوسيلة التوثيقية الجديدة، إلا أن الانتشار الحقيقي للتصوير

المملكة العربية السعودية دولة يافعة، أسسها الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، عبر سلسلة من الحملات والمجاهدات بين عامي ١٣١٩ و ١٣٤٩ (١٩٠٢ و ١٩٣٠م)، وقد تزامن الإعلان الرسمي عن إنشاء المملكة العربية السعودية في عام ١٣٥١ (١٩٣٢م) مع اكتشافات النفط التي تمت في الخمسينيات من القرن الماضي، ولم يبدأ إنتاج النفط على نطاق تجاري موسع ساهم في تحويل المملكة العربية السعودية إلى إحدى أغنى دول العالم ووضع خطاها على دروب التطور والنمو إلا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية. وعند وفاة الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله عام ١٣٧٣ (١٩٥٣م) كانت المملكة قد قطعت أشواطاً متسارعة الخطى نحو التطور الحديث.



المدينة المنورة كما صورها العقيد محمد صادق في عام ١٢٧٧ (١٨٦١م)، ويعتقد أن هذه أقدم صورة معروفة جرى التقاطها في المملكة العربية السعودية.

يدوأن أول صورة فوتوغرافية للمملكة العربية السعودية جرى التقاطها قبل مائة عام تقريباً من وفاة الملك عبدالعزيز، وذلك في عام ١٢٧٧ (١٨٦١م)، عندما نزل العقيد المصري محمد صادق إلى بر ميناء الوجه الواقع على البحر الأحمر في الساحل الشمالي للحجاز، وكان ذلك الضابط يحمل جهازاً مهما هو آلة تصوير فوتوغرافي التقط بها فيما يعتقد أولى الصور الفوتوغرافية للمسجد النبوي الشريف في المدينة المنورة، وقد عاد العقيد محمد صادق عام ١٢٩٨ (١٨٨٠م) فصور المسجد الحرام والمشاعر

المقدسة، وفي تلك الفترة كان هنالك مصورون مسلمون في الحجاز، وعلى وجه الخصوص كان هناك مصور عسكري تركي، ولكن لا يُعلم شيء عن أعمالهم حتى الآن.

أتى العقيد محمد صادق بآلة التصوير بعد حوالي عشرين عاماً فقط من اختراع التصوير الفوتوغرافي في أوروبا، على أن تاريخ آلة التصوير ذاتها ذو صلة وثيقة بالعالم العربي، فعالم الطبيعيات العربي أبو علي الحسن بن الهيثم ٣٥٤-٤٣١ (٩٦٥ - ١٠٣٩م) يعتبر أول من وصف تفصيلياً جهازاً بصرياً قادراً على تكوين صورة بواسطة «الغرفة المظلمة». كان ابن



وسط شبه الجزيرة العربية مثل والين Wallin في ستينيات القرن الثالث عشر (أربعينيات القرن الميلادي الماضي)، وبالغريف Palgrave وغوارماني Guarmani وبيلي Pelly في سبعينيات وثمانينيات القرن الثالث عشر (ستينيات القرن الميلادي الماضي)، وداوتي Doughty وبلنت Blunt وزوجته في ثمانينيات وتسعينيات القرن الثالث عشر (سبعينيات القرن الميلادي الماضي)، وهوبر Huber في عام ١٢٩٧ (١٨٧٩م)، ثم مرة أخرى في عام ١٣٠١ (١٨٨٣م) برفقة أيوتينغ Euting، والبارون فون نولدا Baron von Nolde في نفس العام، ومن المؤسف أن أياً منهم لم يكن يحمل آلة تصوير فوتوغرافي.

بدأ الوضع في التغير حين تعرف المسلمون على التصوير الفوتوغرافي. وقد حدث ذلك أساساً لأن الجيوش المصرية والعثمانية كانت قد أدرجت من زمن مبكر التصوير الفوتوغرافي كمادة في التدريب العسكري، ولهذا فليس من الغريب أن يكون مساحون مسلمون مثل العقيد محمد صادق أول من أدخل التصوير الفوتوغرافي في المملكة العربية السعودية.

ظهر أول مصور أوروبي في الحجاز في عام ١٣٠٢ (١٨٨٤م)، وهو عالم الدراسات الإسلامية الهولندي المشهور الدكتور كريستيان سنوك هورغرونيه Christian Snouck Hurgronje الذي اعتنق الإسلام وتسمي بعبد الغفار، وكان قد جاء إلى مكة المكرمة ليسجل مناسك الحج وجوانب الحياة في تلك المدينة، وسرعان ما تبعه مصورون آخرون. كان لآلة التصوير في أيام حملات الملك عبد العزيز آل سعود وخلال فترة الحرب العالمية الأولى أن سجلت العديد من المعالم والمواقف المتصلة بالمملكة العربية السعودية في سنوات نشأتها.

كان طبيعياً أن تغدو الأماكن المقدسة في الحجاز وكذلك مدينة جدة، التي تمثل بوابة التجارة والتدفق السنوي للحجيج، أول مناطق المملكة العربية السعودية التي جذبت انتباه المصورين. كان على آلة التصوير أن تنتظر حتى العقود الأولى من القرن الرابع عشر (بداية القرن الميلادي العشرين) قبل أن تكشف النقاب عن الأجزاء الأخرى لما أصبح فيما بعد المملكة العربية السعودية، أي الجوف وساحل الخليج العربي. ولم يتم التقاط أولى الصور للهجر في نجد، المنطقة الوسطى من المملكة، حتى حلول عام ١٣٣١ (١٩١٢م)، وكانت الأجزاء الجنوبية من المملكة آخر ما جرى تصويره حيث بدأ تصوير وهاد تهامة منذ بداية الأربعينيات من القرن الماضي (العشرينيات من القرن الميلادي الحالي)، أما هضاب عسير وأصقاع الربع الخالي النائية فكان عليها الانتظار حتى منتصف القرن الماضي (الثلاثينيات والأربعينيات من القرن الميلادي الحالي) قبل أن تصلها أولى آلات التصوير والتي جاء بها توماس Thomas وفيلبي Philby وThesiger.

كانت المناطق التي تمثل المملكة العربية السعودية اليوم متفرقة في زمن محمد صادق وسنوك هورغرونيه. فقد كانت منطقة الحجاز، الشمال الغربي لشبه الجزيرة العربية بما فيها مكة المكرمة والمدينة المنورة ومدينتا جدة والطائف، تحت حكم شريف مكة الخاضع للسلطان العثماني،

الفوتوغرافي في منطقة الشرق الأوسط كان في السبعينيات من القرن الثالث عشر (أواخر خمسينيات القرن التاسع عشر الميلادي) حين تم اكتشاف طريقة الكولوديون المتبل wet-collodion وألواح الزجاج السالبة والتي أتاحت نتائجاً أفضل من صور الورق السالبة القديمة.

رسخت أقدام أوائل المصورين المقيمين، وكان الكثير منهم من الأرمن والأوربيين، خلال سبعينيات القرن الثالث عشر (ستينيات القرن التاسع عشر الميلادي)، وقد وجدوا سوقاً لصورهم ليس بين السياح فحسب وإنما بين الموظفين ورجال الجيش التابعين للقوى الأوربية والعابرين للشرق الأوسط في طريقهم إلى الهند والشرق الأقصى. ازدهرت استوديوهات التصوير التجارية عبر منطقة الشرق الأوسط وخاصة في القاهرة ودمشق والقدس وبيروت وإسطنبول، وكذلك في بور سعيد بعد افتتاح قناة السويس في عام ١٢٨٦ (١٨٦٩م). شهدت نهاية القرن الماضي (السبعينيات والثمانينيات من القرن التاسع عشر الميلادي) تطورات تقنية عديدة شجعت عدداً أكبر من الهواة على التقاط الصور بأنفسهم. وكان أهم تلك التطورات صيغة ألواح الجلاتين الجافة the gelatin dry - plate process والتي جعلت من الممكن إعداد الألواح السالبة مقدماً مما يعني المصور من مشقة حمل المعدات الثقيلة.



بيرترام توماس الذي قام في عام ١٢٥٠ (١٩٣١م) بأول عبور لأجنبي للربع الخالي. (توماس ١٢٥٠).

بقيت شبه الجزيرة العربية بمعزل عن التصوير الفوتوغرافي رغم انتشاره في منطقة الشرق الأوسط، ولم تجد أجزاؤها، باستثناء خليجها وسواحلها الجنوبية، اهتماماً يذكر

من قبل القوى الأوربية، خاصة وأنها تضم المناطق المقدسة في الحجاز والتي لا سبيل للسماح بعبورها إلا للمسلمين، وبالرغم من ذلك فقد نجح بعض الأوربيين وأبرزهم ريتشارد بيرتون Richard Burton في زيارة مكة المكرمة في عام ١٢٧٠ (١٨٥٣م)، كما زار السويسري تشارلز ديديه Charles Didier كلاً من الوجه وينبع وجدة والطائف في عام ١٢٧١ (١٨٥٤م). أما الأطراف الأخرى لما تضمنه حدود المملكة العربية السعودية اليوم فقد بقيت مغلقة في وجوه الرحالة الأجانب لقسوة أحوالها، وخطورة السفر في بقاع تضعف السلطة المركزية فيها ولا يرحب أهلها بغير المسلمين. بيد أن مجموعة من المغامرين خاطروا بعبور



وبعد أن اضطّر الحاكم المصري محمد علي باشا إلى التخلي عن حلمه في بناء إمبراطورية له في شبه الجزيرة العربية في عام ١٢٥٦ (١٨٤٠م) أصبحت السيطرة العثمانية على الحجاز مقسمة على نحو غير مريح مع أشرف مكة. على أن افتتاح قناة السويس في عام ١٢٨٦ (١٨٦٩م) فضلاً عن النزعة العثمانية نحو مركزية الإمبراطورية وتحديثها قد أدتا بالعثمانيين في نهاية الثمانينات من القرن الماضي (أوائل سبعينيات القرن التاسع عشر الميلادي) إلى إعادة ترسيخ حكمهم في منطقة الحجاز، وهكذا تم تعزيز الحاميات في أماكن مختلفة وتم بذل بعض الجهد لتحسين الإدارة وتحديث المنطقة وهو ما توج ببناء سكة حديد الحجاز من دمشق إلى المدينة المنورة بين عامي ١٣١٩ و ١٣٢٦ (١٩٠١ و ١٩٠٨م).

كان النظام العام، برغم ذلك، مضطرباً وكان الحج تجربة مخوفة بالمخاطر، ولم يكن بوسع العثمانيين في السنوات التي سبقت الحرب العالمية الأولى الاعتماد على ولاء الشريف حسين بن علي الذي كان يأمل في دور أكبر في شبه الجزيرة العربية. وحين اشتعلت الحرب العالمية الأولى في عام ١٣٣٣ (١٩١٤م)، وجدت بريطانيا والدولة العثمانية نفسيهما في حالة المواجهة، وقد تضافرت جهود الشريف وأبنائه مع البريطانيين لبدء ما سمي لاحقاً بـ «الثورة العربية» ضد العثمانيين وهو ما أدى مباشرة إلى تفكيك الإمبراطورية العثمانية.

أدى بروز قوة سياسية مركزية في نجد، أي آل سعود، والتي كانت الرياض مركزها إلى التوتر في الكثير من الحالات في العلاقات السائدة مع الحجاز. بالإضافة إلى هذا فإن حركة التجديد الإسلامي التي كانت الدرعية، ولاحقاً الرياض، مركزها كانت تعتبر مهمتها الأساسية العودة إلى التعاليم السامية للإسلام وتنقيتها مما شابها من البدع، وبعد تسوية النزاع الخاص بمنطقة الخرمة عام ١٣٣٨ (١٩١٩م) استولت القوات السعودية على الطائف بعد إخراج قوات الأشراف، ثم دخلت مكة المكرمة بصورة سلمية وذلك بالرغم من إنجازات الأشراف في بعض العمليات العسكرية خلال الثورة ضد العثمانيين. كان السلطان عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، بحلول سنة ١٣٤٤ (١٩٢٦م)، قد استولى على جدة مما أدى إلى بسط سلطته على كل أنحاء الحجاز، وفي هذه الأثناء كان الشريف حسين بن علي قد غادر الحجاز.

ظلت منطقة تهامة الساحلية وهضاب عسير لفترة وجيزة تحت احتلال قوات محمد علي باشا وذلك في منتصف القرن الثالث عشر (ثلاثينيات القرن الميلادي الماضي)، إلا أن محمد علي انسحب في عام ١٢٥٦ (١٨٤٠م) تاركاً تلك المنطقة للعودة تحت سلطة الحكام المحليين. ومنذ ذلك التاريخ حكم الإدارة تهامة من صيبا الواقعة بالقرب من جازان. أما هضاب عسير التي طالما قاومت حكم محمد علي باشا فقد بقيت تحت سلطة أمراء بني مغيد الذين اتخذوا من أبها عاصمة لهم. وكما كان الأمر في حالة الحجاز فقد أدى افتتاح قناة السويس إلى تجدد الجهود العثمانية للسيطرة على منطقة عسير حيث أقاموا بعد عام ١٢٨٨ (١٨٧١م) حامية في أبها، إلا أن قبائل تلك المنطقة الجبلية لم تكن قط سلسة القيادة. واستمرت

الأمر على مجراها خارج المراكز الواقعة تحت السيطرة العثمانية، وبحلول عام ١٣٢٨ (١٩١٠م) خلع حاكم تهامة الإدريسي الحكم العثماني وهدد أبها، وكانت تلك خطوة قاومها الشريف مكة.

انضم الإدارة خلال الحرب العالمية الأولى، مثلما فعل الشريف حسين، إلى جانب البريطانيين في مواجهة العثمانيين، وحين غادر العثمانيون شبه الجزيرة العربية نتيجة «الثورة العربية» بقيت عسير تحت حكم الإدارة. وفي عام ١٣٣٨ (١٩٢٠م) استولى الملك عبد العزيز آل سعود على أبها تاركاً عسير وتهامة حتى تخوم الحديدة كمحمية سعودية تحت السيطرة الاسمية للإدارة. وبحلول عام ١٣٤١ (١٩٢٢م) توفي محمد الإدريسي ونشبت حرب أهلية تزعمها ابنه وأخوه، وهكذا وجدت اليمن والدولة السعودية الوليدة نفسيهما تتواجهان في النزاع، الذي تمت تسويته آخر الأمر، وفي عام ١٣٥٣ (١٩٣٤م) وضعت اتفاقية الطائف حداً للخلاف الحدودي بين اليمن والمملكة العربية السعودية.



المستكشف وعالم الطبيعة دوغلاس كاروثيرز على ظهور بعير اشتراه من الشرارات في شمال شبه الجزيرة العربية (كاروثيرز ١٣٢٨/١٩١٠م).

وتم تحديث الإدارة إلا أن حالة النظام العام، مثلما هو الأمر في المناطق الأخرى، ظلت تخفيها المخاطر وفشل العثمانيون في السيطرة على القبائل البدوية، وقد استمر ذلك الحال حتى ضم الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود الأحساء إلى نجد في عام ١٣٣١ (١٩١٣م).



كانت استعادة الإمام عبد العزيز آل سعود للرياض عام ١٣١٩ (١٩٠٢م) بكل روعتها إيذاناً ببداية حملاته لإنشاء المملكة العربية السعودية، فبحلول عام ١٣٢٤ (١٩٠٦م) تمت إعادة مناطق نجد الجنوبية والقصيم إلى حكم آل سعود. تلت ذلك سلسلة من الحملات التي مكنت الإمام عبد العزيز آل سعود من فرض السلطة على القبائل وتشجيع قيام حركة الإخوان التي استمدت قوتها من رجال القبائل الذين أصبحوا فيما بعد نواة قوة عسكرية مساندة للإمام عبد العزيز آل سعود الذي تمكن من السيطرة على الأحساء والقطيف عام ١٣٣١ (١٩١٣م) وعلى عسير عام ١٣٣٨ (١٩٢٠م) وعلى حائل والجوف عام ١٣٣٩ (١٩٢١، ١٩٢٢م) ثم على الحجاز ما بين عامي ١٣٤٣ و ١٣٤٤ (١٩٢٤-١٩٢٦م). لقد كان هناك عاملان أساسيان أديا إلى أن ينحى تاريخ شبه الجزيرة العربية ذلك المنحى وهما انبعاث الرياض كقوة سياسية دينية بزعامة قائد فذ، وانهيار السلطة العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى.

استدعى تأسيس الدولة السعودية إنشاء سلطة مركزية قوية على الأقاليم وعلى قبائل البدو المتحاربة وذاتية الاعتماد، وقد تم تحقيق ذلك بادئ ذي بدء في عهد الدولة السعودية الأولى ما بين عام ١٥٨ و ١٢٣٤ (١٧٤٥-١٨١٨م)، والتي كان مركزها الدرعية، وذلك عندما تعهد الإمام محمد ابن سعود بنصرة الدعوة الإصلاحية للشيخ محمد بن عبد الوهاب. كما تحقق ذلك خلال عهد الدولة السعودية الثانية ما بين عام ١٢٤٠ و ١٣٠٩ (١٨٢٤-١٨٩١م) حين امتد حكم الأئمة السعوديين على رقعة أقل مساحة، أي على نجد والأحساء، انطلاقاً من عاصمتهم الجديدة الرياض. أما استعادة الملك عبد العزيز آل سعود لملك آبائه فقد مثلت انتصاراً متجدداً لمبادئ راسخة وتأكيداً للنظام وتجاوزاً للعصبية القبلية، وهي قيم أصبحت مرتبطة بحكم آل سعود لأكثر من قرن ونصف من الزمان.

تيسر السبيل إلى الحجاز كثيراً بافتتاح سكة حديد الحجاز في عام ١٣٢٦ (١٩٠٨م)، وبدأ الرحالة مصحوبين بالآلات التصوير تحذوهم دوافع شتى يعبرون تباعاً إلى الأجزاء الشمالية من شبه الجزيرة العربية، بدءاً بأرشيولد فوردار Archibald Forder في عام ١٣١٩ (١٩٠١م)، ثم بتلار Butler وأيلمار Aylmer، وعالما الآثار الفرنسيان الوافدان من القدس جاوسين Jaussen وسافيناك Savignac في عام ١٣٢٥ (١٩٠٧م)، والمكتشف وعالم الطبيعة دوغلاس كاروثيرز Douglas Carruthers في عام ١٣٢٧ (١٩٠٩م) وعالم الإنسانيات النمساوي ألويس موسيل Alois Musill منذ عام ١٣٢٦ (١٩٠٨م). ثم كانت الرحلة التي قامت بها إلى حائل ما بين عامي ١٣٣٢ و ١٣٣٣ (١٩١٣-١٩١٤م) الرحالة البريطانية غيرتروود بيل Gertrude Bell، التي أصبحت ذات نفوذ سياسي في العراق فيما بعد، وبالرغم من أن الرحلة كانت لأسباب شخصية، فقد كانت معلوماتها جلية النفع للاستخبارات البريطانية. وتمثل صورها الفوتوغرافية عن حائل أول سجل تفصيلي مصور لبلدة نجدية.

كانت الاستخبارات البريطانية والألمانية خلال التأهب للحرب العالمية الأولى في حاجة إلى معلومات أكثر حول القبائل والحكام في أطراف الإمبراطورية العثمانية في شبه الجزيرة العربية.

كان من شأن صعود نجم آل رشيد في حائل، خلال الاحتلال العثماني للأحساء، تحييد نفوذ الرياض في سدير وفي بلدتي عنيزة وبريدة الواقعتين في منطقة القصيم الكثيفة السكان. وبحلول عام ١٣٠٩ (١٨٩١م) نصب حاكم حائل حاكماً على الرياض حيث غادرها آل سعود إلى الكويت. حرص حاكم حائل على انتهاج علاقات طيبة وخلق نوع من التحالف مع العثمانيين، وكانت الجوف ووادي السرحان إلى الشمال من صحراء النفود الكبرى خلال العشرينيات من القرن الماضي (السنوات المبكرة من القرن العشرين الميلادي) منطقتي نزاع بين حائل وشيوخ آل شعلان زعماء قبيلة الرولة التي تقطن بادية الشام. كان من شأن عودة



أعلى يسار: جيرارد ليشمان (١٢٩٨-١٣٣٨/١٨٨٠-١٩٢٠م) الذي كان أحد أكثر رجال الاستخبارات البريطانية فعالية في الصحراء خلال الحرب العالمية الأولى، وأحد الأجانب القليلين الذين تمكنوا من التمويه عن أنفسهم بنجاح ليبدو كأحد رجال القبائل (حوالي ١٣٢٨/١٩١٠م) (المصدر مجهول).

أعلى يمين ووسط: أرشيولد فوردار في لباس عربي ولباس إفرنجي، وقد قام فوردار برحلته الاستكشافية إلى شمال شبه الجزيرة العربية قادماً من شرق الأردن (فوردار حوالي ١٣١٨/١٩٠٠م).

الرياض تحت حكم الإمام عبد العزيز آل سعود في عام ١٣١٩ (١٩٠٢م) بدء صراع استمر طويلاً مع حائل جرى في ظل التأيد العثماني لحائل، وقد تمكن الإمام عبد العزيز آل سعود آخر الأمر من توحيد المنطقة بكاملها تحت حكمه من الرياض اعتباراً من عام ١٣٣٩ (١٩٢١م).



تم التقاط الكثير من الصور الأولى تحت ظروف بالغة القسوة، فقد كان الترحال الصحراوي مخفوفاً بالمخاطر في أفضل حالاته حتى بالنسبة لذوي الدراية من الرحالة مثل غيرترود بيل التي كانت لا تخاطر بالترحال إلا إذا ساد السلم بين القبائل، ولهذا تعتبر نجاة أي مادة مصورة وبقاؤها أمراً نادراً. يمكن اعتبار الرحالة آرشيولد فوردار، بالرغم من اندفاعه وعدم وضوح أهدافه في رأي البعض، خلفاً جديراً للرحالة البريطاني المشهور داوتي Doughty وذلك لمخاطراته بين قبائل شمال شبه الجزيرة العربية والجوف، والمصاعب التي كان مستعداً لتحملها. ولعل ما رواه الرحالة آرشيولد فوردار يعطي فكرة عما كانت تبلغه الأمور خلال تلك الرحلات:

«كان المشي عبر الرمال الكثيفة وتحت لظى الشمس جهداً شاقاً، ولم تكدم ساعتان من الزمن حتى تداعيت إلى الأرض منهكاً. كان الدليل يسبقني قليلاً مع الحمار، ناديت فتوقفت ثم أنزل الحقائق عن ظهر الحمار ورمي بكل ما فيها على الرمال، وعندما حمل ألواح التصوير الفوتوغرافي، جعله وزنها يعتقد أن بها مالا، وسرعان ما فتح بخنجره صندوقين وأفرغ أربعة وعشرين لوحاً فوتوغرافياً على الرمال، ولما لم يدرك ما يمكن عمله بها دفنها في الرمال وعاد إلي طالباً مني أن أقف وأتبعه وإلا سوف يمضي بدوني. مشيت وراءه وأنا أعرج طيلة ساعتين برغم العطش وبرغم الألم في أطرافي الموجعة. لمحننا آخر الأمر على البعد نخلة، ورأيت على مقربة منها خيمة عربية. لم أكن لأرحب بمشهد أكثر من ذلك ولم أكن لأجد مأوى أكثر قبولاً من ذلك المنزل. خرج صاحب الخيمة إلي وحمل عني الحقائق ثم ساعدني في الدخول وأتاح لي ركناً داخل الخيمة.»

عانى قليل من الرحالة، لحسن الحظ، مثل ما عاناه فوردار من معاملة، ولعل كونه مدفوعاً بمهمة تنصيرية يجعله يمثل حالة خاصة. على أنه بغض النظر عن ذلك، فإن الأهالي كانوا غالباً ما يشعرون برؤية حيال أولئك الأجانب الذين يجمعون معلومات من كل نوع عن بلادهم سواء كانت مكتوبة أو مصورة. ولقد مر رونكيار بتلك التجربة في رحلة عبر نجد في عام ١٣٣١ (١٩١٢م). فبعد أن لاحظ أن معدات التصوير الفوتوغرافي لا يمكن استخدامها إلا بمخاطرة عظيمة وذلك خلال لحظات نادرة بعيدة عن عين الرقيب، سجل لاحقاً ما لقيه خلال تحقيق عسير من أمير بريدة حول نشاطاته في تجميع المعلومات، كما سجل وصفاً لحادثة وقعت في واحة الشامية القريبة من بريدة:

«قمت بالتقاط سلسلة كاملة من الصور، بالقرب من بئر في الواحة ذاتها، وكذلك حين غادرنا بساتين النخيل وعلونا عبر الكثبان الرملية. كل ذلك وأنا أخفي بأقصى جهد معداتي الفوتوغرافية بعباءتي. على أن عصف الرياح أزاح طرفاً من العباءة جانباً فلمعت القطع النيكلية

أعلى الصفحة المقابلة: صورة النقيب شكسبير الشهيرة لرجال الملك عبد العزيز آل سعود، وقد التقطها في تاج بالمنطقة الشرقية (شكسبير ١٢٢٩/مارس ١٩١١م).

أسفل الصفحة المقابلة: سيارة فوردار التابعة لهولت تعاني بعض المصاعب بالقرب من الجوف في الأزمنة المبكرة لاستخدام السيارة، حينما كانت الإبل لا تزال هي الوسيلة الأفضل (هولت Holt ١٢٢٩/١٩٢١-١٩٢٢م).



حرس فوردار في دومة الجندل (فوردار ١٢١٩/١٩٠١م).

وقد اتسمت السياسة الرسمية لبريطانيا حتى ذلك الوقت بعدم التدخل في مناطق النفوذ العثماني، إلا أنه منذ ذلك الحين بدأ العملاء الأوربيون والعثمانيون في التسابق سعياً للنفوذ في وسط شبه الجزيرة العربية وشمالها. بدأ أوائل الرحالة في الوصول إلى نجد في هذه الفترة، وهم تواقون لخلق اتصال مع الأمير عبد العزيز آل سعود في الرياض، وكان من هؤلاء الدنماركي باركلي رونكيار Barclay Raunkiaer في عام ١٣٣١ (١٩١٢م) والبريطانيون جيرارد ليشمان Gerard Leachman في نفس العام، ووليام شكسبير W. H. I. Shakespear في عام ١٣٣٣ (١٩١٤م) وهاري سان جون فيلبي Harry St. John Philby عامي ١٣٣٦ و ١٣٣٧ (١٩١٧-١٩١٨م). كان هؤلاء الرحالة مدفوعين باهتمامهم الخاص بالاستكشاف مثلما كانوا مدفوعين بالتشجيع الرسمي لنشاطاتهم السياسية، ولقد أمكن، بناءً على معلومات هؤلاء الرحالة، تحديد خطوط الطول والعرض للأماكن التي عبروها، مما يسر رسم خرائط أفضل، كما ساهمت الصور الملتقطة في كشف النقاب لأول مرة عن تضاريس المنطقة ونمط الحياة فيها.









كارل رسوان، الألماني الأمريكي خلال إقامته مع قبيلة الرولة (رسوان حوالي ١٣٤٥/١٩٢٦م).



الجيولوجي ماكس ستاينيكس (أرامكو: الخمسينيات من القرن الرابع عشر / ثلاثينيات القرن العشرين الميلادي).



الدبلوماسي البريطاني جورج ريندل في قصر البديعة بالرياض (ريندل ١٣٥٦/١٩٣٧م).

من المعدات بفعل الشمس أمام أعين الأهالي المندهمين والذين بدت عليهم مظاهر واضحة للاستثارة. اتخذ مرافقي أيضاً موقفاً غير ودي نحوي في تلك اللحظة مما جعلني أدرك بأنني أخطر بالبقاء وحيداً إن لم أمتنع عن التصوير. لم تكن عودتي، بعد تلك الحادثة، إلى الشامية فضلاً عن قضاء الليل هناك، أمراً يمكن التطلع بابتهاج. كانت رحلة العودة عن طريق الزلفي غير محبة إلى النفس، وأعتقد أن هناك أماكن قليلة يمكن أن تصيب عودة المرء أدراجه إليها بعواقب وخيمة أكثر من شبه الجزيرة العربية.

تذكر غيرتروود بيل، بالمقابل، في آخر صباح لها خلال زيارتها لحائل عام ١٩٣٣ (١٩١٤م)، وبالرغم من الصعوبات التي واجهتها في البداية: «أناحوالي مشاهدة كل شيء، وسمحوا لي بتصوير كل شيء، وبأن أفعل ما يرضيني تماماً».

حكام شبه الجزيرة العربية تأثراً، مما جذب أعداداً متزايدة من الزوار إلى مجلسه. بقيت جدة، بعد ضم الحجاز في عام ١٣٤٤ (١٩٢٦م) المركز الدبلوماسي للمملكة العربية السعودية، وكان لاختراع السيارة والاتصال اللاسلكي وجرأة الملك عبد العزيز آل سعود في الانتفاع بهما، أن تحسن الاتصال كثيراً بين الرياض وبقية المناطق، وأصبح وجود آلات التصوير مع مرور الوقت أمراً مألوفاً. جدير بالذكر أن من بين أبرز الزوار الذين قاموا بالتصوير في مدينة الرياض في الأربعينيات من القرن الماضي (العشرينيات من القرن الميلادي الحالي) الكاتب الأمريكي اللبناني الأصل أمين الريحاني في عام ١٣١٤ (١٩٢٢م) ومحمد ليولد فايس M. Leopold Weiss في عام ١٣٤٨ (١٩٢٩م) الذي كان يهودياً بولندياً اعتنق الإسلام وتسمى بمحمد أسد وأصبح لاحقاً دبلوماسياً وكاتباً إسلامياً بارزاً. أما الأمريكي الألماني الأصل، كارل رسوان Carl Raswan والذي عاش مع قبيلة الرولة بين عامي ١٣٣١ و ١٣٣٣ (١٩١٢-١٩١٤م)، فقد عاد ومعه آلة تصوير في عام ١٣٤٥ (١٩٢٦م) ليتنقل معهم في شمال شبه الجزيرة العربية حتى بلغ صحراء النفود جنوباً.

ترسخت بحلول أوائل الخمسينيات من القرن الماضي (الثلاثينيات من القرن الميلادي الحالي) مكانة الرياض كعاصمة للمملكة العربية السعودية، وقد تعاقب على زيارتها العديد من الدبلوماسيين الذين كان الملك عبد العزيز آل سعود يستضيفهم في قصر الضيافة بالبديعة

كانت المشاكل تبرز أحياناً نتيجة لعزوف بعض الناس عن تصويرهم بجهاز غير مألوف، ولم يكن السبب الكلام عن «العين الشريرة» فقط، وإنما لأنه كان هناك شعور، منذ دخول آلة التصوير إلى منطقة الشرق الأوسط، بأن تحريم الإسلام لتجسيد كل ذي روح ينطبق على آلة التصوير أيضاً. كانت آلة التصوير الضخمة الخاصة بشكسبير، بقوائمها الثلاثية وكسائها الأسود، تتطلب ترتيبات لضبطها، وما أن كان يتم ذلك في بعض الأحيان حتى كان الأشخاص الحذرون المنوي تصويرهم يغادرون موقع التصوير. وعلى أية حال فإن ما بقي من ألواح الزجاجية السالبة لم تتح لنا فقط مجموعة من الصور الأولى لوسط شبه الجزيرة العربية وشرقها وإنما بعض أكثر تلك الصور جودة، وكان من بين تلك الصور أولى الصور المعروفة للملك عبد العزيز آل سعود وأتباعه في الكويت وفي الأحساء ما بين عامي ١٣٢٨ و ١٣٢٩ (١٩١٠-١٩١١م). كانت أكثر المشاكل المبكرة للتصوير شيوعاً فنية بحتة، فقد كانت المعدات في البداية هائلة الحجم، صعبة النقل والضبط. كان بوسع حرارة الشمس إفساد الألواح السالبة تماماً، وقد كانت محاولات تظهير تلك الألواح في الصحراء تعني خسائر إضافية.

زادت أهمية الرياض باضطراب في الفترة التي تلت نهاية الحرب العالمية الأولى خاصة بعد انضمام عسير وحائل والجوف إليها، وتم الاعتراف عالمياً بالملك عبد العزيز آل سعود كأكثر



أصبح لزاماً على السعوديين، وفي كل المناطق المذكورة في هذا الكتاب، منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية وبالتحديد منذ الارتفاع الملموس في أسعار النفط في التسعينيات من القرن الماضي (السبعينيات من القرن الميلادي الحالي)، أن يتكيفوا مع تغيرات لا يضاهيها في ميزان التجربة البشرية، إلا ما شهدته بنسبة مختلفة بعض بلدان الخليج العربي. حدث ذلك الانتقال من نمط حياة كان مألوفاً طيلة قرون عديدة بالنسبة للكثير من الناس، خلال فترة لم يتمكن النسيان من البدء في التطرق إليها، وتمثل الصور المعروضة في هذا الكتاب تذكيراً بأسلوب الحياة القديم الصعب في واحدة من أكثر بقاع الكرة الأرضية قسوة في بيئتها.



إيلو باتيجيلي، أحد مصوري أرامكو (باتيجيلي ١٩٦٧/١٩٤٧م).

كان معظم الزوار الذين التقطوا صوراً فوتوغرافية لمناطق المملكة العربية السعودية قبل الحرب العالمية الثانية من البريطانيين، الذين دعته قسوة ظروف الحياة في المملكة للتعبير عن تقديرهم لرجال القبائل البدو منهم والمزارعين، رغم المصاعب العديدة التي كان بعض الزوار قد يلقاها على أيديهم أحياناً. وقد استمر ذلك الوضع حتى الخمسينيات من القرن الماضي (الثلاثينيات من القرن الميلادي الحالي)، حين بدأ الأمريكيون المشاركون في التنقيب عن النفط في الوصول إلى المملكة العربية السعودية.

كان من شأن عظمة أرض شبه الجزيرة العربية القفر، التي لا تبدي رحمة حيال إنسان يعبرها وحيداً، أن خلقت افتتاناً عارماً بها من قبل بعض الرحالة البريطانيين الذين كانوا يستمتعون بإبداء أقصى درجات الاحتمال. ولقد تمت كتابة الكثير عن تأثير شبه الجزيرة العربية على أولئك النفر الذين تأثرت نفوسهم بانسباط البلاد وقيم أهلها وببساطة الحياة وشظفها، بغض النظر عن أسباب رحلاتهم سواء كانت سياسية أو عسكرية أو علمية أو استكشافية أو دينية. ويتفق أكثر من رحالة على أن شبه الجزيرة العربية، كما ذكر اللورد بيليفن Belhaven ابن المعتمد السياسي في الكويت. آر. إي. أيه هاميلتون R. E. A. Hamilton والذي زار الرياض في عام ١٣٣٦ (١٩١٧م)، «محبوبة قاسية القلب، تجازي محبتها بضنى الأجسام اضطراب العقول». وتحمل هذه المقولة اعترافاً لا تفسيراً للسحر الجذاب الذي كانت وما زالت شبه الجزيرة العربية تعنيه بالنسبة لعشاقها.



جيرالد دي غاوري، المعتمد البريطاني في الكويت خلال الخمسينيات من القرن الرابع عشر (ثلاثينيات القرن العشرين الميلادي)، والمبعوث الخاص لدى الرياض خلال الحرب العالمية الثانية (دي غاوري).



تي. إي. لورانس في زي نقيب في الجيش مرتدياً الفترة والعقال خلال الثورة العربية (لورانس حوالي ١٩٣٦-١٩٣٧/١٩١٧-١٩١٨م).

الواقع على الضفة الغربية لوادي حنيفة. كان من بين أولئك جيرالد دي غاوري Gerald de Gaury في الأعوام ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٨، ١٣٥٩ و ١٣٦٤ (١٩٣٤، ١٩٣٥، ١٩٣٩، ١٩٤٠ و ١٩٤٤م)، وأندرو راين Andrew Ryan في عام ١٣٥٤ (١٩٣٥م)، وريدار بولارد Reader Bullard ما بين عامي ١٣٥٥ و ١٣٥٨ (١٩٣٦-١٩٣٩م)، وجورج ريندل George Rendel وهارولد ديكسون Harold Dickson في عام ١٣٥٦ (١٩٣٧م).

تم اكتشاف وجود النفط بكميات تجارية في المنطقة الشرقية بين عامي ١٣٥١ و ١٣٥٧ (١٩٣٢-١٩٣٨م)، وكان مدلول ذلك الحدث السعيد أن الظروف قد تهيأت لتبدأ تلك الثروة الجديدة في التدفق بعد الحرب العالمية الثانية ولتبرز من الرياض شمس التنمية الشاملة على المناطق الشاسعة للمملكة العربية السعودية. أما فيما يتعلق بموضوع التصوير الفوتوغرافي، فقد قام المكتشفون الأمريكيون، لحسن الحظ، بالتقاط صور ممتازة ليس للمنطقة الشرقية وحدها، خاصة واحتى الأحساء والقطيف، وإنما للرياض وجدة والطائف ومناطق نجد والحجاز الأخرى أيضاً. كان من بين أبرز مصوري أرامكو، الجيولوجي ماكس ستاينكي Max Steineke، وفلويد أوليغار Floyd Ohliger، وجوماونتين Joe Mountain، وإيلو باتيجيلي Ilo Battigelli (المشهور بلقب القرصان)، وكذلك تي. إف. والترز T. F. Walters.





قافلة حجاج خارج مكة بهوادجها. لقد تنقل الحجاج إلى بيت الله الحرام عبر أصقاع شبه الجزيرة العربية، لقرون عدة على هذا النحو. جاءت آلة التصوير في الوقت المناسب لتسجل أفول الأيام القديمة (فيلبي ١٣٥٠/١٩٣١م).

الماضي مأهولة بقبائل البدو الرُّحَّل، علماً بأنه قد يكون من المفاجيء أن نعلم أن البدو لم يسبق لهم قط أن كانوا يمثلون أغلبية سكان المملكة. كان معظم سكان شبه الجزيرة العربية، منذ الأزمان السحيقة، من الحضر المزارعين، وكانت هناك أعداد متفرقة من التجار ومن أصحاب القوافل الذين كانوا يمثلون رجال الأعمال الرواد في تلك الفترة. توضح هذه الصور أيضاً التنوع الهائل في أنماط المستوطنات والعمارة في المملكة العربية السعودية. فهناك المنازل المبنية بالطين في نجد ومنازل الأحجار المرجانية في ساحل الحجاز. وبيوت الطين والحجر البرجية في عسير، والتي تمثل جميعها امتداداً لتقاليد عريقة في العمران.

لا يمكن في كتاب يمثل هذا الحيز إلا تقديم عدد قليل منتقى من عدة آلاف من الصور الخاصة بتلك المرحلة الهامة والممتدة بين ثمانينيات القرن الثالث عشر وأوائل سبعينيات القرن الرابع عشر (ستينيات القرن التاسع عشر وأوائل خمسينيات القرن العشرين الميلادي)، وهي المرحلة التي شهدت نشأة المملكة العربية السعودية وخطواتها الأولى صوب التنمية الشاملة. كان الهدف هنا أولاً اختيار الصور التي تعكس بأفضل طريقة ممكنة أنماط الحياة القديمة في المملكة العربية السعودية، ومن ثم الانتقاء من بينها لأفضلها جودة من الناحية الفوتوغرافية.

أدت أحداث التاريخ إلى استحالة العثور على صور لجميع أجزاء المملكة العربية السعودية، ففي حين وفر الدور السياسي لمدينة الرياض تغطية فوتوغرافية وافية للمدينة القديمة، يندر من جهة أخرى، لسوء الحظ، وجود صور قديمة لمنطقة القصيم، تلك المنطقة من نجد ذات الكثافة السكانية العالية ببلديتها التوأمين المزدهرتين عنيزة وبريدة والمتميزتان عمرانياً، خاصة وأن البنائين في القصيم كان مشهوداً لهم بالمهارة. وبالمثل فإن الأجزاء من نجد

كان يجذب أولئك الرحالة إلى شبه الجزيرة العربية إدراكهم لاكتفاء أهلها الذاتي وتعودهم على شظف العيش، والتعاضد القبائلي وروح الاعتماد الذاتي اللذان كانا يصطدمان في أحيان كثيرة بالمساعي الرامية إلى إنشاء سلطة مركزية، كما كان يجذبهم إليها أيضاً الكرم الحائمي الذي كان يبيده رجال القبائل تجاه الغرباء الذين يكونون في حمايتهم. أما حين برز الملك عبد العزيز آل سعود إلى الساحة فقد أضيف إلى هذه الأسباب انجذابهم إلى شخصيته وإنجازاته الباهرة.

يضاهي ما كتبه تي. إي لورنس T. E. Lawrence في القرن الماضي في «أعمدة الحكمة السبعة» Seven Pillars of Wisdom الكتابات الرائعة التي خطها بالغريف وداوتي عن تجاربهما في شبه الجزيرة العربية. إلا أنه فيما كان بالغريف وداوتي غير قادرين على التقاط الصور، أصبحت آلات التصوير في زمن لورنس أمراً مألوفاً، وهناك العديد من الصور للأشخاص والأماكن ذات العلاقة بـ «الثورة العربية». تعزز معرفة تلك الصور فهمنا لتلك المرحلة ولإحساسنا بأسلوب الحياة الذي مضى بشكل أقوى من أي وصف لفظي، ولا ريب في أن كتابات فيلبي الموسوعية عن المملكة العربية السعودية مرجع له حتى الآن قيمته، إلا أن هذه القيمة ازدادت كثيراً بالصور العديدة التي التقطها، رغم التفاوت في درجات جودتها، منذ عام ١٣٣٦ (١٩١٧م) والأعوام اللاحقة. أما حين تقترن المقدرة الإبداعية بالجسارة وبالحس الفوتوغرافي الباهر، كما هو الأمر في حالة ثيسنغر، فإن النتيجة ستكون سجلاً حياً رائعاً للماضي.

تحتفظ الصور أيضاً بتأثير آخر يتمثل في تصحيح تصور خاطيء سائد بين الغربيين عن المملكة العربية السعودية. فهم كثيراً ما يتصورون أن جميع أرجاء المملكة العربية السعودية كانت في



على أنه مهما كانت محدودية إطلالة تلك الصور فإنها تكشف لنا شيئاً عن المجتمع القديم الذي هو أصل تقاليد المواطنين السعوديين اليوم، وتوضح الأسس الثقافية التي توحدتهم. يعتبر الالتزام بالإسلام وتعاليمه وقيمه الرابط الأساسي بين سكان المملكة، وهو أمر من الطبيعي أن يكون في منبع الإسلام ورحاب الحرمين الشريفين. ويتمسك السعوديون، بالرغم من المتغيرات السريعة المحيطة، بدينهم وتراثهم وماضيهم مصدراً للاعتزاز والقوة والطمأنينة. ويتبدى ذلك في حياتهم الخاصة مثلما يتبدى في سياسات الحكومة المتعلقة برعاية المواطن. ويمثل الالتزام الشخصي بالدين، وتقاليد الضيافة، والارتباط بالعائلة، والالتزام بالزّي الوطني تعبيراً عن هذا التمسك. ولعل أبرز الأمثلة على التمسك بالثوابت هو التزام حكومة المملكة العربية السعودية برعاية الحرمين الشريفين والمشاعر المقدسة، وهو التزام يتبدى في التوسعات والأعمال التطويرية الهائلة التي تمت خلال السنوات الأخيرة والتي أدخلت تحولاً كبيراً على مكة المكرمة والمدينة المنورة منذ أيام صادق وهورغرونيه.

والواقعة إلى الجنوب من الرياض تكاد تكون معدومة التوثيق الفوتوغرافي. يعرض الكتاب، بالرغم من ذلك، محاولة لإبراز مناطق المملكة العربية السعودية المختلفة بصورة متوازنة ما أمكن ذلك، باستخدام صور معروفة أصلاً، بالإضافة إلى عرض صور قد تكون غير معروفة من قبل إلا للمتخصصين.

يمكن لآلة التصوير أن تحكي الكثير عدا عن تفاصيل الملابس والأدوات المستعملة وأشكال المباني، فهي توقف سير الحياة، إذا جاز التعبير، ولوللحظة. ولهذا فإذا كان المصور يعمل في ظروف عجلة قد لا تمكنه من تمييز اللقطة المطلوبة فقد يجيء اختيار اللحظة المناسبة عشوائياً، وبهذا تصبح تلك اللقطة أهم من اللحظة التي التقطت فيها. لم تكن الظروف في شبه الجزيرة العربية في مطلع القرن الماضي تتيح للمصورين أن يكونوا في المكان المناسب في الوقت المناسب إلا نادراً، وذلك في بعض الأحداث السياسية التي كانوا طرفاً مسئولاً عن تسجيلها. إن صورة ما لوجهاء كانوا متهئين لالتقاط صورهم مهمة كتوثيق لواقعة دبلوماسية معينة ولكنها لا تحكي لنا عن أسلوب الحياة التي مضت مثلما تحكي صورة عن العادات السائدة أو الأنشطة اليومية. إن أفضل الصور هي تلك التي تحتزن حدثاً غير آني ومرتبطة ارتباطاً وثيقاً بماضي شبه الجزيرة العربية وسكانها، وتحدث عن علاقتهم بالأرض، وأسواقهم الأسبوعية، أو عن حملة تتأهب للحرب، أو بدو يستعدون لشد الرحال بحيواناتهم ومقتنياتهم المحدودة، أو تُصور جلب الماء بالدلو من آبار الصحراء والواحات، أو أساليب الزراعة أو الحياة الفطرية التي انقرضت.

تحميل هودج لسيدة من قبيلة الروثة (رسوان حوالي ١٣٤٥/١٩٢٦م).



يتأكد من تلك الصور أن العيش في البيئة القاسية لشبه الجزيرة العربية لم يكن يستلزم إلا القليل من التجهيزات، فلم يكن الناس في حاجة إلا إلى القليل من الحاجيات من أجل العيش، وكانوا يصنعون ما يقتنونه، سواء كان مبنى أو دلوأ جلدياً، بعناية تامة. كان بوسعهم الاكتفاء بهذه الأدوات البسيطة، وتحدي انبساط الصحراء وخواتمها، أو وعورة الجبال التي تحيط بمساكنهم أو مضارب خيامهم أو آبارهم ومراعيهم، وكان الناس أنفسهم أشداء الأبدان يرضون بالصعاب وبالحياة المحفوفة بالمخاطر.

كان ما نراه في تلك الصور العماد الأساسي للحياة، ويمكن اليوم أن نُصور بستاناً للنخيل ترويه القنوات المائية، أو قطعاً من الإبل في الصحراء بحيث تبدو الصورة وكأن شيئاً لم يتغير قط، إلا أن مدلول مثل هذه الصور مختلف تماماً. فالنخلة اليوم لها نفع محدود يتمثل في توفير محيط لطيف للحياة خارج البيوت وفي إتاحة الظروف لزراعة منتجات أخرى، وهي لم تعد الشرط الضروري والأساسي لحياة مستقرة يعتمد الناس على ثمرها كغذاء رئيسي. أما الإبل التي لم يكن من الممكن بدونها، حتى عهد قريب، اجتياز صحارى شبه الجزيرة العربية الشاسعة أو حتى نشوء أنظمة للنقل، فقد أصبحت ذات نفع محدود في العصر الحديث.

استطاعت الصور تسجيل الكثير من مظاهر الحياة العامة للمملكة العربية السعودية القديمة، ولم تتمكن الصور من تسجيل بعض ملامح الحياة اليومية، خاصة تلك التي تتعلق بالنساء،



## الفصل الثاني

# قرن من التصوير خلال قرن من التغير

جيليان غرانت

وضوحاً، كما أنه يمكن طبع نسخ عديدة من اللوح السالب الزجاجي باستخدام الورق المغطى بالألبومين albumen والذي تم تطويره من قبل بلانكوارد - إيفارد Blanquart-Evrard في عام ١٢٦٧ (١٨٥٠م). لم يتم قط تسجيل براءة اختراع طريقة سكوت - آرشر، ولهذا فقد أدى الإعلان عنها إلى توسع عام في استخدام التصوير كوسيلة جديدة.

استثار التصوير الفوتوغرافي، كلما اتسع انتشاره، مشاعر متضاربة، ففي حين عارضه البعض استناداً إلى منطلقات أخلاقية أو دينية، انبهر به آخرون من أولئك المتحمسين للتقدم العصري والذين كانوا متشوقين للإمكانات التي يتيحها، وكان أبرز دعاة التحديث بين الحكام في الشرق الأوسط السلطانين العثمانيين عبد العزيز وعبد الحميد الثاني اللذين وظفا مصوريين لكي يسجلوا حياة المناطق التابعة لهما، وملفات الصور التي جمعها معروفة باسم «مجموعة يلديز» وقد انتقلت إلى جامعة إسطنبول بعد أن أصبحت تركيا جمهورية. تقوم الجامعة ومركز الفن والتاريخ والثقافة الإسلامية في قصر «يلديز» حالياً بتصنيف تلك المجموعة التي تشمل ملفات عديدة لصور للحجاز، وقد يلقي المزيد من البحث حول هذه المجموعة مزيداً من الضوء على التاريخ المبكر للتصوير الفوتوغرافي في شبه الجزيرة العربية. كان من دعاة التحديث أيضاً الخديويون في مصر وهم من سلالة محمد علي باشا. أصبح التصوير الفوتوغرافي، بتشجيع من العثمانيين والخديويين جزءاً من التدريب العسكري في الجيوش العثمانية والمصرية التي كانت تخضع لعملية إعادة تشكيل، وهكذا أتيح لنا أن نجد محمد صادق في الحجاز ومعه آلة التصوير.

عاد محمد صادق في عام ١٢٩٨ (١٨٨٠م) إلى الحجاز مع المحمل المصري، ومرة أخرى كانت معه آلة التصوير، وقد تمكن من التقاط صور فوتوغرافية لمكة المكرمة والمدينة المنورة والمشاعر المقدسة، كما قابل بعثة عسكرية مكونة من ستة ضباط كان أحدهم مصوراً

قام ضابط مصري برتبة عقيد اسمه محمد صادق في عام ١٢٧٧ (١٨٦١م) بعملية مسح عسكري لطرق الحج بين الوجه والمدينة المنورة وينبع، وكان يحمل معه معدات المساحة المعتادة إلا أنه كان يحمل أيضاً جهازاً جديداً لتسهيل مهمته هو آلة تصوير ضخمة تعمل بطريقة الألواح المبتلة، التقط بها ما يعتقد أنها أولى صور المدينة المنورة (أنظر ص ٨).



العقيد محمد صادق. لا نعرف عن حياته إلا القليل، غير أن موهبته في مجال التصوير الفوتوغرافي جرى الاعتراف بها حين تم منحه شهادة تقدير وميدالية ذهبية في مهرجان البندقية لعام ١٢٨٤ و ١٢٩٩ (١٨٧٦ و ١٨٨١م)، أما في عام ١٣٠٥ (١٨٨٧م) فقد تم منحه ميدالية تقدير من قبل الخديوي نفسه.

تحققت أول معالجة فوتوغرافية ناجحة في عام ١٢٥٥ (١٨٣٩م) على يد الفرنسي جاك ماندييه داغوير وقد كانت نتاجاً لقرون عديدة من التطور في علوم البصريات والكيمياء. لم يكن بوسع تلك الطريقة الجديدة أن تنتج أكثر من صورة موجبة واحدة فقط، وكانت التكلفة المالية والخبرة الفنية اللازمتان لإنتاج تلك الصورة قد جعلتاها قصراً على عدد محدود من المتحمسين. حدث شيء من التقدم في عام ١٢٥٧ (١٨٤١م) عندما سجلت براءة اختراع لطريقة «سالبية - موجبة» لفوكس تالبوت، وقد استخدم فيها ورقاً مشبعاً بملح الطعام كحامل للأملح ذات الحساسية تجاه الضوء واللازمة لإنتاج صورة «ثابتة». تعتبر الطريقة الجديدة المسماة (كالوتايب Calotype) أو (تالبوتايب Talbotype) تقدماً كبيراً، وكان لها من يستخدمها من المحترفين، إلا أن الورق لم يكن مادة سالبية ذات استمرارية، كما أن الصور الموجبة الناتجة عن تلك العملية لم تكن واضحة المعالم تماماً، وكانت معالمها، في أحيان عديدة، تميل إلى التلاشي بعد مرور شهور قليلة، ولهذا استمر الخبراء في إجراء التجارب.

تحقق التقدم الحقيقي في عام ١٢٦٨ (١٨٥١م) عندما نشر فريدريك سكوت - آرشر Frederick Scott-Archer وصفاً لطريقته الجديدة التي أسماها طريقة الكولوديون المبتل والتي استخدمت الزجاج بدلاً من الورق كحامل للأملح ذات الحساسية تجاه الضوء. يعتبر اللوح السالب الزجاجي أكثر قابلية للتحمل مقارنة بالورق ويتيح الحصول على صور موجبة أكثر



من أعمال المصور العربي المجهول الهوية، وقد تحقق فيه ما نشده هورغرونيه دون التمكن من إنجازه، من تسجيل لمناسك الحج بالصور الفوتوغرافية. أوضح هورغرونيه في مقدمته للملف الثاني أنه ما أن أكمل كتابه الأول حول مكة المكرمة ألا وتلقى صوراً جديدة من المصور العربي، الذي صار يشير إليه كطبيب مكّي، وما زالت الهوية الحقيقية لذلك الطبيب مجهولة ولكن من الجدير بالنظر أن نلاحظ أن بعض صورته حملت نفس التوقيع الذي اعتمده هورغرونيه نفسه وهو «السيد عبد الغفار» (أنظر صفحتي ٢٨ و ٢٩).

لم يكن التصوير الفوتوغرافي متوقفاً في الفترة ما بين أولى زيارتي محمد صادق إلى غرب الجزيرة العربية حتى ظهور ملفي هورغرونيه، فقد شهدت تلك الفترة التأسيس الناجح للاستوديوهات التجارية في البلدان والمدن من دمشق إلى دلهي، وبالرغم من أنه ليس ثمة دليل على وجود مصورين مقيمين في الحجاز في تلك الفترة، فإن جدة قد جرى تصويرها بمصور تجاري واحد على الأقل هو إل. فيوريلو L. Fiorillo الذي كان قد جعل من الإسكندرية منطلقاً له. ويبدو أنه فضل اعتماد النمط التوثيقي حيال موضوعاته (أنظر يسار صفحة ٤٤).

طرحتم ممارسة التصوير بطريقة الكولديون المبطل بعض المشكلات أمام الراغبين في الخروج من حدود جدران الاستوديوهات إلى العمل المتنقل، إذ أن ضرورات تظهير الألواح ومعالجتها فور إنتاجها كان يستدعي حمل جميع المعدات الأساسية أثناء التنقل. جرت تجارب لتبسيط تلك الإجراءات خلال ثمانينيات القرن الثالث عشر (ستينيات القرن التاسع عشر الميلادي) دون نجاح، إلا أن طبيباً لندنياً اسمه آر. إل. مادوكس R.L.Maddox نشر في عام ١٢٨٨ (١٨٧١م) نتائج تجارب أجراها على استخدام الجلاتين كحامل للمواد ذات الحساسية تجاه الضوء، وكان يمكن استخدام المحلول الجديد، بعد تجمده وجفافه، لفترة من الوقت بعد تحضيره، وقد جعل ذلك الإنتاج التجاري للألواح الفوتوغرافية ممكناً عملياً. لم يعد من الضروري، بحلول مطلع القرن الرابع عشر (ثمانينيات القرن التاسع عشر الميلادي)، على المصورين إعداد موادهم الخاصة، فقد أصبح بالإمكان تعريض الألواح الجديدة إلى الضوء في غضون جزء من ثانية واحدة عوضاً عن دقائق عدة، وأصبحت متداولة آلات تصوير جديدة أصغر حجماً وأسهل نقلاً مقارنة مع آلات تصوير الألواح المبثلة القديمة، وكانت تلك الآلات صغيرة على نحو يسمح بنقلها بدون لفت الانتباه.

أدى ظهور آلات التصوير الأصغر حجماً وإجراءات المعالجة الأبسط إلى انتشار الصحافة

بارعاً اسمه علي بيك. لم يكن محمد صادق يهدف في هذه الزيارة إلى استخدام آلة التصوير لأغراض دينوية متعلقة بالمسح العسكري، وإنما كان هدفه كمسلم متمثلاً في تأليف سجل ديني توثيقي لأحد أركان الإسلام وهو الحج إلى بيت الله الحرام، وبالرغم من أنه لم يكن وحيداً في الرغبة في تحقيق ذلك الهدف، فإن دوافع بعض الآخرين الذين تبعوه كانت أغلب الظن بعيدة عن نبل هدف محمد صادق.

تزامن اختراع التصوير الفوتوغرافي مع مرحلة الاستكشاف والاستعمار الأوروبي على نطاق العالم أجمع، وكان الانبهار بالشرق في أوج عظمتها، وقد عبر فيكتور هيغو الأديب الفرنسي عن ذلك الانبهار في مقدمته لكتاب «الشرقيون Les Orientales» حيث كتب «لم يحدث قط أن استكشفت عقول عظيمة كثيرة، في نفس الوقت، الأعماق التي لا يمكن سبر غورها في آسيا».

كان سبر غور تلك الأعماق ممكناً، وفقاً لاعتقاد البعض، عن طريق دراسة الإسلام، ولهذا بدأ العالم العربي، والذي هو بطبيعة الحال منطقة ذات أهمية سياسية وإستراتيجية عظمى، في جذب الاهتمام الأكاديمي.

كانت أعداد محدودة من الأوروبيين قد قامت برحلات في الحجاز في بداية القرن الثالث عشر (النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي) إلا أنها كانت حالات نادرة إذ لم يكن مسموحاً لغير المسلمين بالترحال خارج ميناءي جدة وينبع، وكانت أية محاولة لتفادي ذلك الحظر تستدعي التخفي وعدم حمل الأجهزة العلمية. كان من بين هؤلاء الرحالة المستشرق الألماني سيتزين Seetzen (١٢٢٤/١٨٠٩م)، يوهان بوركارت Johann Burckhard (١٢٣٠/١٨١٤م)، ليون روش Leon Roches (١٢٣١/١٨٤١م)، وريتشارد بيرتون (١٢٧٠/١٨٥٣م). تمكن في عام ١٣٠١ (الرابع والعشرين من أغسطس من عام ١٨٨٤م) أوربي من النزول في جدة وفي متاعه آلة تصوير، كان ذلك هو عالم الدراسات الإسلامية الهولندي الدكتور كريستان سنوك هورغرونيه، الذي كان قد اعتنق الإسلام وجاء بهدف أداء ورصد مناسك الحج، وكانت معرفته بالعربية والإسلام

واسعة إلا أن تفاصيل إقامته في المنطقة جاءت شحيحة ومغرية بالتطلع إلى المزيد. نشر هورغرونيه ملفين منفصلين لصور من الحجاز في بداية القرن الرابع عشر (أواخر ثمانينيات القرن التاسع عشر الميلادي)، وقد حوى الملف الأول مناظر لمكة المكرمة وصوراً شخصية لوجهاء المنطقة وكبار الحجاج. وكان تعليقه الوحيد على هذه الصور هو المنشور في مقدمة النص المصاحب، نسب فيه اثنتين من الصور إلى محمد صادق، والبقية إلى نفسه ولعربي آخر لم يذكر له اسماً قام هورغرونيه بتعليمه التصوير الفوتوغرافي. أما الملف الثاني فأغلب الظن أنه



الدكتور كريستان سنوك هورغرونيه (عبد الغفار) (١٢٧٤-١٢٥٥/١٨٥٧-١٩٣٦م). أقام في جدة ضيفاً على القنصل الهولندي قبل توجهه إلى مكة المكرمة التي بلغها في عام ١٣٠٢ (يونيه ١٨٨٥م)، وقد بقي بمكة ستة أشهر يخطط لتوثيق الحج قبل أن تقوم السلطات العثمانية بإبعاده.



غيرترود بيل (١٢٨٥-١٣٤٥/١٨٦٨-١٩٢٦م). أقامت في حائل لعشرة أيام في عام ١٣٢٢ (في فبراير - مارس من عام ١٩١٤م). كانت أول الأمر محتجزة في حجرة في القصر، ثم سمح لها في الأيام القليلة الأخيرة باستكشاف المدينة وتصوير ما تشاء.



معدات تصوير فوتوغرافي للهواة تشمل آلة تصوير كوداك من طراز أوتوغرافيك فيست بوكيت بعلبتها ومتعلقاتها، حوالي عام ١٣٣٩ (١٩٢٠م). نالت مثل هذه الآلة شعبية خلال الحرب العالمية الأولى، وكان يحملها الجنود والضباط الذين جاءوا إلى سواحل الحجاز عام ١٣٣٦ (١٩١٧م) للمشاركة في عمليات عسكرية ضد العثمانيين.



آلة تصوير حقلية قابلة للطي مصنوعة بالكامل من الخشب بواسطة أوتويل Ottewill، ولها عدسات من طراز كارت دي فيزيت Carte de Visite (١٨٥٣/١٢٧٠م). كانت مثل هذه الآلة مستخدمة أيام عملية المسح التي قام بها العقيد محمد صادق.

أسفل: اللواء إبراهيم رفعت الذي تعلم التصوير الفوتوغرافي حوالي عام ١٣٢٠ (١٩٠٢م). كان من بين الصور التي تبلغ نحو الأربعمئة والتي نشرها في كتابه «مرآة الحرمين» (القاهرة ١٣٤٤/١٩٢٥م) بعض الصور التي التقطها مصورون مصريون آخرون مثل محمد علي سعودي و خليل أفندي القازاني وأحمد صابر.



التصويرية، وقد أتيح في عام ١٣١٢ (١٨٩٤م) لأحد روادها وهو جول غيرفي كورتاليمونت Jules Gervais Courtellemont التقاط صور في كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة تم تحويلها لاحقاً إلى صور توضيحية لكتابه المسمى «رحلتي إلى مكة Mon voyage à la Mecque». كان قد صحبه مرافق جزائري في رحلته التي وجدت دعماً من وزارة الخارجية الفرنسية، التي كان لها اهتمام بمعرفة المزيد عن الوضع السياسي والتجاري في غرب شبه الجزيرة العربية، وقد زودته الوزارة في سعيها وراء ذلك الهدف بوثائق مزورة كان من ضمنها جواز سفر. وهكذا وصل إلى جدة متقمصاً شخصية عبد الله،

الطبيب الجزائري الذي يزور البلاد في مهمة علمية، حاملاً آلة تصوير من طراز فوتوجونيل "Photo Junelle" (تستخدم صفائح مقاس ١٨×١٣ سم) مخفية تحت سجادة حملها مدلاة فوق كتفه، حيث أنه كان يدرك أنه إذا انكشف أمر مهمته فإنه لن يتمكن من العيش ليروي حكايته.



عام ١٣٢٦ (خريف عام ١٩٠٨ م) للتصوير في الحجاز ولكنه لم يأت متخفياً هذه المرة وإنما جاء بدعوة من السلطان عبد الحميد لتصوير افتتاح خط سكة حديد الحجاز الممتد من دمشق إلى المدينة المنورة والذي كان قد تم تشييده، كما أعلن على نطاق واسع، بهدف تسهيل حركة الحجيج في موسم الحج. وقد سجل تلك المناسبة مصورون مسيحيون آخرون بينهم الأرمني جيه. أتش. هالاجيان J. H. Hallajian والذي جاء من الاستوديو الخاص به في فلسطين وقضى عدة أشهر في المنطقة يلتقط الصور لمكة المكرمة والمدينة المنورة وكذلك للمحطات والمباني الأخرى المتصلة بالخط الجديد. (أنظر ص ٣٦، ٤٠، ٤١-٤٣).

لم يكن مشروع السكة الحديدية محض لمحة أريحية من السلطان العثماني إلى رعيته من المسلمين فحسب، إذ أنه كان مهماً عملياً واستراتيجياً، كما كان عاملاً رئيسياً في محاولات السلطان عبد الحميد لتعزيز موقفه في الداخل والخارج. فبالنسبة للسلطان العثماني كان للإكمال الناجح لخط السكة الحديدية أثران مزدوجان، وإن كانا مؤقتين، تمثلا في استنفار دعم المسلمين عبر العالم، وفي نفس الوقت مد النفوذ العثماني إلى غرب شبه الجزيرة العربية. على أن خط السكة الحديدية الجديد جاء بأكثر مما توقعه السلطان عبد الحميد، حيث أنه حمل أفكاراً تدعو إلى استقلال العرب، وذلك من مدن عربية كبرى مثل دمشق وبيروت، كما أنه حل أيضاً أوروبيين جاءوا يلتمسون معلومات حول منطقة اكتسبت شؤونها فجأة أهمية جديدة بعد أن أُنذر الأتراك الواضح والمستمر للإمبراطورية العثمانية بنظام عالمي جديد.

جاء العديد من الأوروبيين بأحدث الطرز من آلات التصوير الجديدة والقابلة للحمل بسهولة والمبنية على آلة كوداك رقم ١، آلة التصوير المتطورة الأصلية التي طورها جورج إيستمان George Eastman عام ١٣٠٦ (١٨٨٨ م). صُحِبَ آلة التصوير هذه تصميم جديد لوسيلة جديدة تمثلت في فيلم الورق الملفوف الذي يتيح التقاط سلسلة من الصور دون الحاجة لإعادة التعبئة في كل مرة، فحين انتهاء الفيلم كان على المصور أن يقوم بإعادة آلة التصوير فحسب إلى مصنع إيستمان حيث تتم معالجة وطباعة الفيلم، كما تتم إعادة تعبئة آلة التصوير وإرجاعها إلى المصور لاستخدامها مجدداً. لقد سجلت آلة كوداك رقم ١ نقطة تحول حقيقية في تاريخ التصوير الفوتوغرافي حيث أنها فصلت عملية التقاط الصور عن عملية معالجتها وطباعتها، مما مكّن الكثيرين، مهما كانت مهارتهم وإمكاناتهم، من التقاط صور فوتوغرافية مقبولة، وعلى الرغم من أن آلة تصوير إيستمان الأصلية قد جرى تطويرها عبر عقود متتالية من الزمن، فلم يعد هنالك الآن مجال لتغييرات رئيسية على الأسس التي قام عليها التصوير الفوتوغرافي.



النقيب وليام شكسبير (١٢٩٥-١٣٢٤/١٨٧٨-١٩١٥ م). قام بست رحلات استكشافية في شرق ووسط شبه الجزيرة العربية بين عام ١٢٢٣/١٩٠٥ م، ووفاته في جراب في عام ١٩١٥/١٣٢٤ م. التقط في الكويت في عام ١٩١٠/١٣٢٨ م أولى الصور المعروفة للملك عبد العزيز آل سعود.

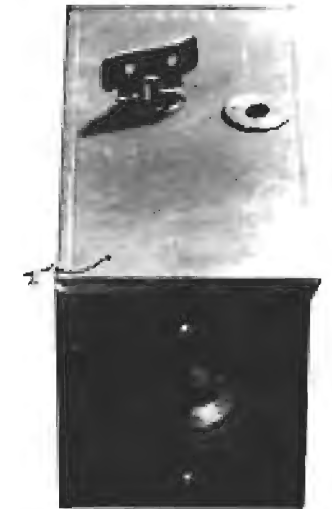
وجد التصوير الفوتوغرافي مع مطلع العقد الثاني من القرن الرابع عشر (بداية القرن العشرين الميلادي) مزيداً من السبل إلى الحجاز وذلك من خلال المصورين المسلمين وعلى رأسهم الضابط المصري اللواء إبراهيم رفعت والذي قام بالتصوير في مكة المكرمة والمدينة المنورة في الأعوام ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٦ (١٩٠٣، ١٩٠٤، ١٩٠٨ م) حين كان يقوم بمهام رسمية عديدة تتصل بالحج (أنظر ص ٣٣، ٣٦-٣٩). كان اللواء إبراهيم رفعت قد قام قبلاً بزيارة مكة المكرمة خلال موسم الحج في عام ١٣١٩ (١٩٠١ م)، وأدت به حسرته نتيجة عدم تمكنه من تسجيل المناظر الباهرة التي شاهدها إلى تعلم تقنيات التصوير. ومن المعروف أنه استخدم آلي تصوير على أقل تقدير، تستخدمان صفائح مقاسها ١٨×١٣ سم و ١٢×٩ سم. كان هدفه الأساسي تمثلاً في تقديم توثيق ديني، مثل سلفه محمد صادق، إلا أنه شرع أيضاً في التفكير في استخدام التصوير الفوتوغرافي كوسيلة مساعدة في نيل المعرفة، حيث قام بدراسات فوتوغرافية عن أعمال الخط العربي المكتوبة على المحمل وعلى الأبواب الخشبية المشغولة بالحفر في بيوت مكة القديمة، وذلك من أجل الفن المعماري. التقى رفعت خلال زيارته بمسؤولين مصريين آخرين كانوا يهتمون بالتصوير الفوتوغرافي، وقد نشر طرفاً من أعمالهم مع أعماله.

شُرعت في نفس الفترة شركة تصوير تجارية هندية هي أتش آيه ميرزا وأولاده - دلهي، في إنتاج نسخ مصورة جيدة لمواقع مناسك الحج. (أنظر ص ٢٩-٣١، ٣٤، ٣٥)، وقد كانت تلك الصور، على أغلب الظن، معروضة للبيع في جدة ومكة المكرمة كتذكارات عن الحج، وذلك افتراض أيده إتش. آيه.

وافيل H. A. Wavell الذي لاحظ في كتابه «حاج حديث في مكة» «A Modern Pilgrim in Mecca» (١٣٣١، ١٩١٢ م) أن صور مكة والمدينة الواردة في الكتاب كان قد تم ابتياعها من مكتبة من مكاتب مكة تقع على الشارع المؤدي إلى المسجد الحرام.

عاد جول غير في كورتاليمونت في

كوداك رقم ١، آلة التصوير التي طورها جورج إيستمان عام ١٣٠٦ (١٨٨٨ م)، والتي تستخدم لفة فيلم ورقسي يمكن استخدامها من التقاط العديد من الصور دون الحاجة إلى إعادة تعبئة الآلة كل مرة. كان خفة حمل هذه الآلة وسهولة استخدامها أن أصبحت جذابة للرحالة والمسافرين.





(١٦/١٢/١٩١٣م) وقد تمكنت بعد مرور نحو من شهرين من تحقيق رغبتها في عبور النفود، تلك الرغبة التي راودتها لأول مرة في تلك المدينة قبل ثلاثة عشر عاماً من ذلك الحين. كان هدفها الأول من تلك الرحلة وضع سجل علمي تفصيلي لكل المواقع الأثرية التي قد تصادفها، وقد بلغ بها الأمر أن ركبت عائدة أدراجها مسيرة يوم كامل عبر جبل طويق حتى تصور طلاً رأته في اليوم السابق. وصلت غيرترود بيل إلى حائل، عاصمة ابن رشيد في عام ١٣٣٢ (فبراير عام ١٩١٤)، أي نفس الشهر الذي شهد تحرك النقيب شكسبير من الكويت إلى الرياض عاصمة الأمير عبد العزيز آل سعود، والتي كان ينوي السفر منها في اتجاه الشمال الغربي إلى العقبة.



ويلفريد ثيسغر، آخر أعظم مستكشفي شبه الجزيرة العربية، وقد عبر الربع الخالي مرتين عامي ١٣٦٨ و ١٣٦٩ (١٩٤٦ و ١٩٤٨م). قام ثيسغر برحلات أخرى ليست مشهورة عبر نجد وعسير خلال إقامته في شبه الجزيرة العربية من عام ١٩٦٥ إلى ١٣٧٩ (١٩٤٥-١٩٥٠) (ثيسغر).

كان شكسبير مصوراً متحمساً إلى أبعد حد وقد دأب خلال رحلته عام ١٣٣٢ (١٩١٤م) على قضاء أمسياته في خيمته يعالج أفلامه ويظهرها مستعيناً بآناء تظهير جديد أدخلته كوداك عام ١٣٢٣ (١٩٠٥م). لم يكن مثل ذلك العمل يسيراً في الظروف المناخية القاسية للمناطق الداخلية لشبه الجزيرة العربية، وقد حفلت مفكرة شكسبير بإشارات إلى الصعوبات التي واجهته، فقد كانت الأفلام تصبح مادة لزجة بفعل الحرارة وكان الماء اللازم لآناء التظهير، في أحيان كثيرة، أدفاً مما ينبغي أو مالحاً، أو مختلطاً بذرات الرمل، أو لا يمكن الحصول عليه في أي مكان.

لم تحاول غيرترود بيل تظهير أفلامها بنفسها، إلا أن ذلك لا يعني أنها كانت مصورة فوتوغرافية أقل حماساً، فقد تعلمت تقنيات الضوء الومضي من علماء الآثار الألمان الذين قابلتهم في قلعة شرقاط في عام ١٣٢٩ (١٩١١م)، واستخدمت تلك التقنيات في حائل. تركت غيرترود بيل وراءها أكثر من ستة آلاف صورة سواء مطبوعة أو في أفلام وذلك في إطار بحوثها العلمية حول تاريخ الشرق الأدنى في العهود القديمة والوسطى. كانت آلة التصوير بالنسبة لها، قبل أي شيء، أداة أساسية في عملها المتصل بالآثار، وبالرغم من ذلك فقد

جاء الجيل الجديد من المصورين الأوروبيين إلى شبه الجزيرة العربية بأدوار شتى ومن أجل اهتمامات ومصالح مختلفة، وكان معظمهم يهدفون إلى الوصول إلى أصقاع أجزائها الداخلية. كان بعض هؤلاء، مثل جاوسين وسافيناك من علماء الآثار وكانوا أعضاء في البعثة الأثرية إلى شبه الجزيرة العربية *Mission archéologique en Arabie*، وكان بعضهم مثل دوغلاس كاروثيرز من علماء الطبيعة، فيما كان الآخرون رحالة أو معدي خرائط، إلا أنه كان هناك أيضاً موظفو حكومات جرى إرسالهم لجمع المعلومات الاستخبارية، وفي الواقع أن العديد من أولئك المصورين كانوا مزدوجي الاهتمامات. كان علماء الآثار أول من أدرك قيمة الصورة الفوتوغرافية كأداة تسجيلية ومنذ السبعينيات من القرن الثالث عشر (خمسنيات القرن التاسع عشر الميلادي)، بدأت بعثات التنقيب عن الآثار تضم بين صفوفها مصورا.



هاري سان جون فيليبي (عبد الله) (١٣٠٢-١٣٨٠/١٨٨٥-١٩٦٠م). كرس معظم حياته لتوثيق تاريخ المملكة العربية السعودية، وقد تعلم التصوير الفوتوغرافي في البصرة خلال الحرب العالمية الأولى. عبر الربع الخالي في عام ١٣٥١ (١٩٣٢م). كان أكثر مصوري المملكة العربية السعودية وفرة في الإنتاج، خاصة بعد اعتناقه الإسلام في عام ١٣٤٩ (١٩٣٠م). (فيلبي ١٣٥١/١٩٣٢م)

كان للقلة التي نجحت في السفر إلى المناطق الداخلية من شبه الجزيرة العربية وفي تصويرها أن أسرتها، في أحيان عديدة، الحياة التقليدية في الصحراء وفي مدنها التي ظلت لزمن طويل بعيدة عن كل تأثير بالهوس الأوروبي السائد حول التحديث والتقدم. برز من بين هؤلاء بريطانية وبريطاني، المستشرق وعالم الآثار غيرترود بيل، والضابط السياسي البريطاني في الكويت النقيب وليام شكسبير، وكانا قد أصبحا مصورين متمرسين من خلال خبرتهما السابقة في الآثار وفي الجيش، وقد استخدم كل منهما آلة التصوير البانورامية لالتقاط مناظر لمعالم الصحراء الشاسعة، كما استخدمتا آلات التصوير الصغيرة لالتقاط صور من أجل دراساتهم عن حياة البدو والحضر. قام كل منهما برحلاته الرئيسية في شبه الجزيرة العربية في العام الذي سبق نشوب الحرب العالمية الأولى، على أن نقطتي انطلاقهما كانتا على طرفين متقابلين من أطراف شبه الجزيرة العربية.

بدأت غيرترود بيل رحلتها من دمشق في عام ١٣٣٢



لقد تطلع عديدون إلى اندفاع عجلة التقدم وإلى ثقافة استيعابية عالمية، فيما انتاب الآخرون، أمثال الرحالة والمصور البريطاني ولفريد ثيسيجر Wilfred Thesiger إحساساً بالفقد. قام ثيسيجر بعبور الربع الخالي مرتين بين عامي ١٣٦٦ و ١٣٦٨ (١٩٤٦ و ١٩٤٩ م) حيث التقط مجموعة مذهلة من الصور بآلة تصوير من طراز «لايكا ٢ Leica II» كان قد حصل عليها في عام ١٣٥٣ (١٩٣٤ م). كانت رحلته تلك إيذاناً بمرور ما يقرب من قرن من الزمان على دخول التصوير الفوتوغرافي إلى الجزيرة العربية، وقد كان مدركاً، مثل سابقه للأهمية الفريدة للمصور الفوتوغرافي في تسجيل مواقع ونمط حياة كان سائداً لأكثر من ألف عام، ليأخذ طريقه إلى الاندراست.

تمتعت باستعمالها لتصوير الناس الذين قابلتهم ورأت أن آلة التصوير بمثابة «أوراق اعتماد عالمية في مناطق مجهولة». يمكن اعتبار العديد من الصور التي التقطتها غير ترود بيل أو التي التقطها شكسبير من اللقطات الفوتوغرافية العادية، ومع ذلك فقد كانت الصور الأخرى متناسقة وحساسة للغاية بالأهمية التاريخية للمناظر والأحداث التي كانت من أولى ما تم توثيقه على أفلام تصوير فوتوغرافية.

شهدت مهنة التصوير الفوتوغرافي ازدهاراً عندما نشبت الحرب في أوروبا، بلغ أوجه في عام ١٣٣٦ (١٩١٧ م)، وكان الجنود يشترون آلات التصوير ليحملوها معهم رغم أن حيازتها أثناء المشاركة في عمليات قتالية على الجبهات الأمامية كانت تعتبر جريمة تستدعي المحاكمة العسكرية والحكم بالإعدام في بعض الحالات. كانت أكثر آلات التصوير شيوعاً آلة «فيست بوكيت كوداك Vest Pocket Kodak»، أو آلة الجيب نظراً لصغر حجمها وسهولة إخفائها، وكانت الشركة تعلن عنها في الدعاية التجارية باسم «كوداك الجندي Soldier's Kodak». جاء بآلات التصوير هذه إلى مدن الحجاز الساحلية عام ١٣٣٦، جنود القوات البريطانية الذين كانوا وقتها يشاركون في عمليات عسكرية ساحلية ضد الأتراك. كان يحمل هذه الآلات أيضاً ضباط المخابرات مثل تي أي لورانس وهاري سان جون فيليبي، وهما ممن جرى تجنيدهم للعمل في شبه الجزيرة العربية منذ بداية الحرب بسبب معرفتهم الوثيقة بلغات المنطقة وتاريخها وعاداتها، تلك المعرفة التي اكتسبها لورانس من خلال العمل في مجال التنقيب عن الآثار، وبالنسبة لفيلبي من خلال العمل في الخدمة المدنية في الهند. شرع كل من لورانس وفيلبي، مثلما كان الحال بالنسبة لغير ترود بيل وشكسبير قبلهما، في توثيقهم التصويري الشامل وهما على طرفين متقابلين من أطراف شبه الجزيرة العربية، حيث تم توظيف لورانس للعمل ضمن حملة الحجاز، أما فيلبي فقد جرى إرساله إلى الرياض عن طريق الهفوف في إطار البعثة البريطانية إلى المنطقة الوسطى من شبه الجزيرة العربية.

أصبحت تلك المهمة، في حالة فيلبي، خاصة بعد اعتناقه الإسلام وتسميته باسم عبد الله في عام ١٣٤٩ (١٩٣٠ م)، بداية ارتباط عمر بالملكة العربية السعودية والتي قام بجهد لتوثيق مراحل تأسيسها خلال أربعينيات وخمسينيات القرن الماضي (عشرينيات وثلاثينيات القرن الميلادي الحالي) من خلال مذكراته وصوره الفوتوغرافية. كانت تلك فترة الدبلوماسيين الأوروبيين ورجال النفط الأمريكيين وقد كشفت الصور التي التقطوها النقاب عن مجتمع تقليدي في مرحلة تحول. كما كانت تلك الفترة أيضاً، عهد المزيد من الاستكشاف الأوروبي حيث توغل رحالة لا يعرفون التعب، مثل روزيتا فوربز Rosita Forbes وبيترام توماس Bertram Thomas وفيلبي، إلى مدى أبعد مما مضى، لتوثيق مناطق لم تكن مستكشفة حتى ذلك الوقت مثل عسير وصحراء الربع الخالي.

كانت المملكة العربية السعودية، قبيل الحرب العالمية الثانية، على أعتاب ثورة اقتصادية، وعند وفاة الملك عبد العزيز آل سعود في عام ١٣٧٣ (١٩٥٣ م) كانت المملكة تشهد تحولاً كبيراً.



# المصـورون

## شكر وتقدير

لقد بذلنا كل ما بوسعنا من جهد للتعرف على أصحاب حقوق نشر ما يتضمنه الكتاب من مواد والاتصال بهم. إن مؤلفي هذا الكتاب وناشره يسجلون شكرهم وتقديرهم للمصادر التالية التي وفرت الصور الفوتوغرافية.

(س = يسار، م = يمين، ع = أعلى، ف = أسفل، و = وسط)

- Ilo Battigelli ١٥، ٩٤، ٩٧، ١٠٣، ١٠٢ ف، م، ١٠٢ ف، س، ١٠٦  
G. Bell (Gertrude Bell Photographic Archive, University of Newcastle upon Tyne) ٢٠ م،  
٧٥، ٧٦، ٧٦ ع، ٧٧، ٧٨، ٧٩ م، ٧٩ س، ٨٠ ع، ٨٠ ف، ٨١، ٨٣، ٨٥ م  
J.D. Campbell (Royal Engineers Library, Chatham) ٥٢ ع  
D. Carruthers (Private collection) ٢—٣، ١٠، ١٧، ٨٥ س، ٨٦—٨٧  
R.E. Cheesman (RGS) ٩٥ ع  
Dr F.G. Clemow (RGS) ٤٥ م، ٤٤ ع  
Sir Percy Cox (RGS) ١٠٢ ع، ١٠٢ س  
L. Fiorillo (RGS) ٤٥ س  
R. Forbes (see R. McGrath)  
A. Forder, W.N. Hartshorn, *Ventures among the Arabs* ١٢، ١١  
G. de Gaury (RGS) ١٥، ٤٩، ٥٨، ٥٩ ف، ٦٦ ع  
Goslett (IWM, Lawrence Collection) ٥٢ ف  
J.H. Hallajian (IWM) ٤٣، ٤٢، ٤١ ع، ٤٠ ف  
Major A.L. Holt (RGS) ٩١، ٨٨ ع، ٨٨ م، ٨٨ س  
C.S. Hurgronje/Abd al-Ghaffar (RGS) ٢٩، ٢٨ ع، ١٩ س  
Jaussen & Savignac, *Mission Archéologique en Arabie* ٩٠ ع  
T.E. Lawrence (Courtauld Institute) ٥٤، ٤٧ ف، ٥٣ م، ٥٥ س  
Capt G.E. Leachman (The Trustees of The Royal Sussex Regiment Museum) ١١ س،  
(RGS) ٦٩ ع  
R. McGrath (RGS) ١١٤ ف، ١١٤ ع  
Lieut. Col. F.R. Maunsell (RGS) ٤٠ ف  
N. Mayers (see Tweedy)  
H.A. Mirza (By permission of The British Library) ٣١، ٣٠ (IWM)، ٣٥، ٣٤ ف، ٢٨
- L. Naretti & C.P. Devey (RGS) ٥٤ ع  
F. Ohliger (Private collection) ٥٠ ع، ٥٠ س، ٥٠ م، ٥٠ ف، ٥١  
H.St.J.B. Philby (RGS) الغلاف الأمامي ع م، ٤—١٦، ٢٢ ف، ٤٦ س، ٥٤ ف، ٦٨ م،  
٩٦، ٩٩ ع م، ١١٥، ١١٧ ع، ١١٩ ع، ١٢٠  
Ernest Benn Ltd, *The Land of Midian* ٩٠ ف  
C. Raswan (see Carruthers), Little, Brown & Co. *Black Tents of Arabia* ١٤ س  
G. Rendel (RGS) الغلاف الأمامي ف م، الغلاف الخلفي، ١٤ م، ٦٠، ٦١ س، ٦١ م، ٦٦ ف،  
٩٩ ف م  
Ibrahim Rifaat ٢٠ ف، ٣٢، ٣٦، ٣٧ ع، ٣٨، ٣٩، ١٩٢٥، *Mirat al-Haramayn*, Cairo,  
A. Rihani (Estate of Amin Rihani/*Illustrated London News*) ٥٨ ع  
The Royal Archives 1994 Her Majesty Queen Elizabeth II ٣٣  
Col. Mohammed Sadiq (RGS) *Bulletin de la Société Royale de Géographie d'Egypte*, ٢٧، ٨  
C.S. Hurgronje, *Bilder Atlas zu Mekka*, the Hague, 1889 ١٨ XVIII, vol. 8, 1932. pp. 29-45,  
Saudi Aramco, Dhahran ١٠١  
Science & Society Picture Library, The Science Museum ٢٠ ع، ٢٠ م، ٢١ م  
W.H.I. Shakespear (RGS) ٣١ ع، ٥٧، ٥٩ ف، ٦٩ ف، ٨٢، ٨٨—٨٩ ف، ٩٣ ع، ٩٣ ف  
Geographical Journal vol. LIX no. 5, p. 325 ٢١ ع  
Max Steineke (Saudi Aramco) ١٤، ٤٨، ٥٣ س، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ١٠٠، ١٠٢ ع م  
W. Thesiger (Curtis Brown on behalf of Wilfred Thesiger) ٢٢ ع، ٧٠، ٧١ ف م، ٧١ ف س،  
٧٢—٧٣، ٩٨، ٩٩ ع س، ٩٩ ف س، ١٠٥، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٣ س، ١١٣ ع م،  
١١٣ ف م، ١١٦، ١١٧ ف، ١١٨، ١١٩ ف، ١٢١، ١٢٢ ع، ١٢٢ ف، ١٢٣ ع، ١٢٣ ف، ١٢٤  
Bertram Thomas (RGS) ٩، ١٠٤  
O. Tweedy (MEC, SAC) ٤٦ م  
T.F. Walters (Saudi Aramco) ٦٧، ١٠٧

## الاختصارات

IWM = The Imperial War Museum, London  
MEC, SAC = The Middle East Centre, St Antony's College, Oxford  
RGS = The Royal Geographical Society, London







## المنطقة الغربية

تشمل منطقة الحجاز السهل الساحلي وسلسلة الجبال في شمال غرب الجزيرة العربية، وتمثل تلك المنطقة الجغرافية الصعبة حاجزاً وعراً يحتوي على الرمال المتحركة والأودية المتآكلة والحمم البركانية القديمة التي غسلتها يد الزمن. تمثل الواحات القليلة في جبال الحجاز الواقعة جنوبي الطائف المناطق الأكثر احتواءً للحياة النباتية.

ظلت منطقة الحجاز متعرضة لتأثيرات من خارج شبه الجزيرة العربية أكثر من أي منطقة فيها، فما أن أنزل القرآن الكريم على رسول الله ﷺ إلى العالم أجمع، في القرن السابع الميلادي، حتى أصبحت مكة والمدينة مقصداً للحجيج من كل فج عميق في العالم.

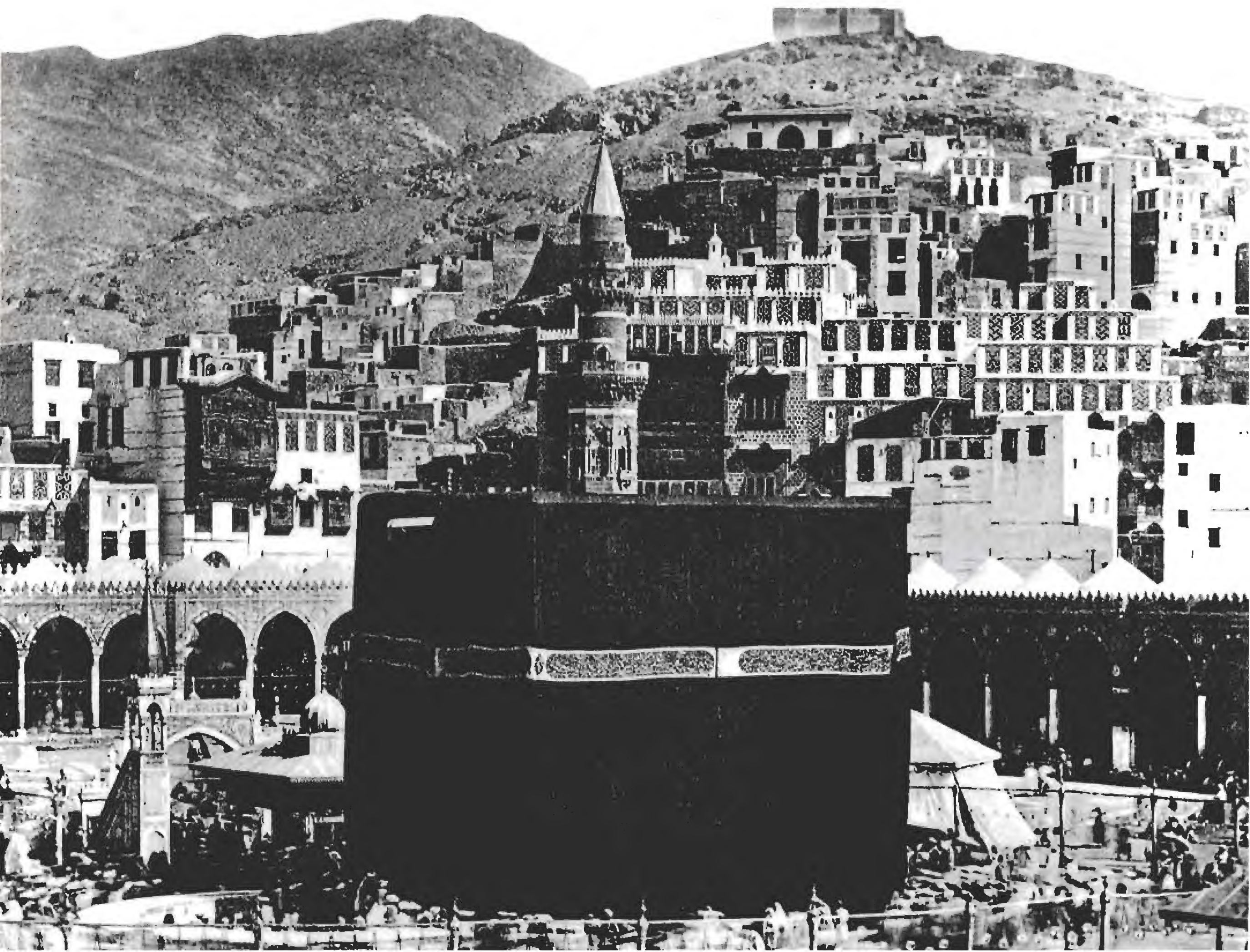
كان جميع ولاية الدول الإسلامية سواء في دمشق أو بغداد أو القاهرة أو إسطنبول، ومنذ القرون الأولى للإسلام، يسعون لتعزيز مكانتهم بحماية الحرمين الشريفين والعناية لهما، وبفرض سلطة، حتى ولو اسمية، على الحجاز، وقد ظل الحجاز لقرون عديدة تحت حكم أشراف مكة. كان يجري توفير التسهيلات للحجيج، وتم إنشاء وحماية طرق للحج تمتد من بغداد والقاهرة ودمشق، وكان العديد من الحجيج يصلون بحراً إلى جدة وينبع، على أن القوافل السنوية كانت تنطلق من القاهرة ودمشق وبغداد تحيط بها هالات من الابتهاج وكان الحجاج المصريون يسلكون الطريق الموازي لساحل البحر الأحمر، فيما كان الحجاج الشاميون يتبعون طريقاً يمر عبر تبوك والعلا إلى المدينة المنورة، أما الحجاج العراقيون فكانوا يسلكون درب زبيدة الذي يعبر وسط شبه الجزيرة العربية عن طريق فيد والحناكية.

أوجد الحج تمازجاً سكانياً من شعوب العالم المختلفة في مكة المكرمة وجدة، وكان ذلك متبايناً إلى حد ما مع قبائل البدو التي كانت تسكن المناطق المحيطة، مثل حرب والبقوم، والتي كانت عادة ما تتنازع مع السلطة الحاكمة على السيطرة على طرق الحج، وإن كانت على استعداد أحياناً للتوقف عن اعتراض ونهب قوافل الحجيج مقابل بعض المال.

كانت المدينة المنورة شبيهة ببقية مدن شبه الجزيرة العربية، وقد جذب إليها كونها مهاجر رسول الله ﷺ ومثواه، ووجود مسجده الشريف بها، نصيبها من الزائرين، خصوصاً العائدين شمالاً من مكة المكرمة. كانت المدينة المنورة، واحة مزدهرة، بعكس مكة المكرمة التي كانت تتلقى إمداداتها من الطائف وجدة، وكان مرفأ ينبع الصغير منفذ المدينة المنورة إلى البحر الأحمر.

الصفحة المقابلة: المسجد الحرام حوالي عام ١٢٩٨ (١٨٨٠م). التقط الصورة العقيد محمد صادق وظهرت أيضاً في أول ملف لهور غرونيه باسم المصور السوري سليمان حكيم، ولم يكن وقتها غريباً أن ينشر مصورون تجاريون بأسمانهم صوراً التقطها آخرون.









يسار: الجانب الغربي لوادي منى خلال الحج. نشر الصورة هورغرونيه ووقعها على النحو الموضح في الصورة المقابلة (هورغرونيه حوالي عام ١٣٠٧/١٨٨٩م).

أسفل: الوقوف بعرفات (ميرزا وأولاده).





الصلاة حول الكعبة المشرفة، نشر الصورة هورغرونييه في عام ١٣٠٧ (١٨٨٩م) في كتابه صور من مكة المكرمة باسم السيد عبد الغفار طبيب بمكة .

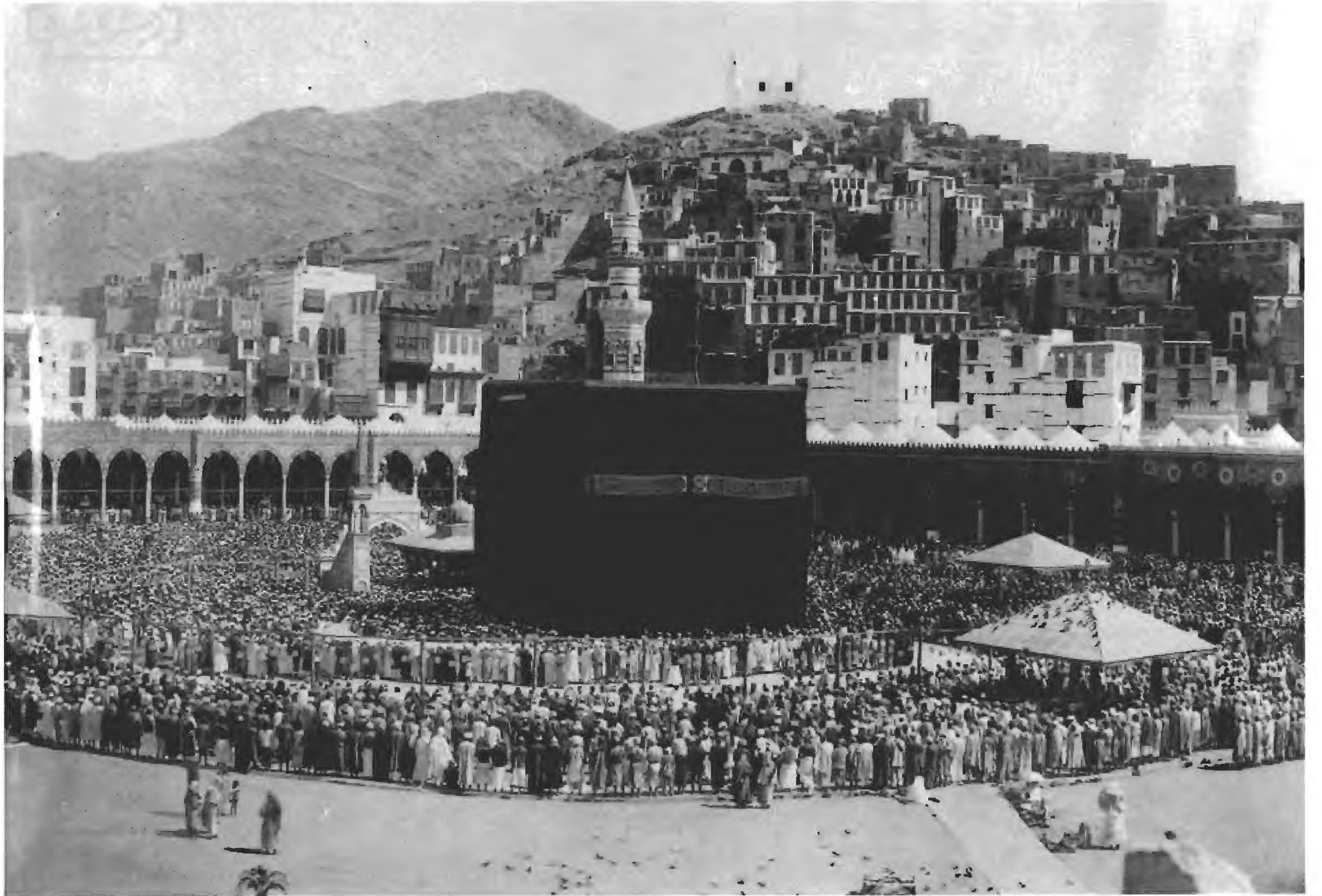


في شهر ربيع الثاني سنة ١٣٠٧ هـ  
هو تذكيرنا بالعبادة والطاعة



الصفحة المقابلة: مسجد الخيف بمنى خلال موسم الحج (ميرزا وأولاده، حوالي ١٢٢٥/١٩٠٧م).

المسجد الحرام (ميرزا وأولاده، حوالي ١٢٢٥/١٩٠٧م).







اس غلجھ لائے تھے اسمیل کو  
ذبح کرنے خود خلیل باخبر

نقیصہ حقیقت و دستاویز

مسجد حنیف و مناجت کا گھر  
معبد عالی مبارک نامو

ارشاد خداوندی  
ذبح کرنے کا قصد  
سند پایا تھا۔  
اور اس حناک پر  
لٹا کر گردن پر چھری  
پھیرنی تھی یہ دوسری  
بات ہو کہ رسم خداوندی  
نے اس مستربانی  
کو متبریل سند مار  
اس کے بھلے  
ایک وجہ کا متبرانی  
کیا جانا منظور نہ لیا۔



دامن کوہ میں واقع کر  
پتھر کی عمارت پر صحن  
کشادہ اور درمیان میں  
ایک گنبد ہو۔ یہاں نما  
پہنجانہ ہوتی ہو۔ اور تو  
ہو کہ یہاں شترنیوں نے  
مل کر نماز پڑھی ہو۔ یہی  
میدان ہو جس میں  
حضرت ابراہیم علیہ السلام  
نے اپنے پیارے  
بیٹے حضرت اسمیل  
علیہ السلام کو حب

ایچ۔ اے۔ صوفیہ ستر و ستر

پانڈی چوک دہلی



الصفحة المقابلة: المحمل محمولاً عبر شوارع مكة المكرمة، التقط الصورة مصور مجهول الهوية وظهرت في ملف مَصُورٍ في ذكرى الحرب العالمية الأولى (١٣٣٣-١٣٣٧/١٩١٤-١٩١٨م). والمحمل هودج مزخرف محمول على ظهر جمل وفيه كسوة الكعبة المشرفة يأتي من القاهرة ودمشق أيام الحج. بدأ ذلك التقليد في القرن السادس (الثالث عشر الميلادي)، وقد انتهت تلك العادة في العهد السعودي.

باب علي في المسجد الحرام، (إبراهيم رفعت الذي صور مكة المكرمة والمدينة المنورة في الأعوام ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٦) ١٩٠٣، ١٩٠٤، ١٩٠٨م).













منظر عام للمدينة المنورة حوالي عام ١٣٢٥/١٩٠٧م (ميرزا وأولاده).





المسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة (إبراهيم رفعت ١٣٢١، ١٣٢٢ أو ١٣٢٦/١٩٠٣، ١٩٠٤ أو ١٩٠٨م).





مسجد الخليفة أبي بكر الصديق بالمدينة المنورة (إبراهيم رفعت محرم ١٣٢٦/٨/١٩٠٨م).



المدينة المنورة عام ١٣٢٦/٨/١٩٠٨م (هالاجيان).





التيكة المصرية (وقف محمد علي باشا) - المدينة المنورة (إبراهيم رفعت ١٣٢١، ١٣٢٢ أو ١٣٢٦/١٩٠٣، ١٩٠٤ أو ١٩٠٨ م).







باب السلام في المسجد النبوي الشريف، المدينة المنورة (إبراهيم رفعت ١٣٢١،  
١٣٢٢ أو ١٣٢٦/١٩٠٣، ١٩٠٤ أو ١٩٠٨ م).



افتتاح محطة تبوك، إحدى المحطات الرئيسية لخط سكة حديد  
الحجاز (هالاجيان حوالي عام ١٣٢٢/١٩٠٨م).

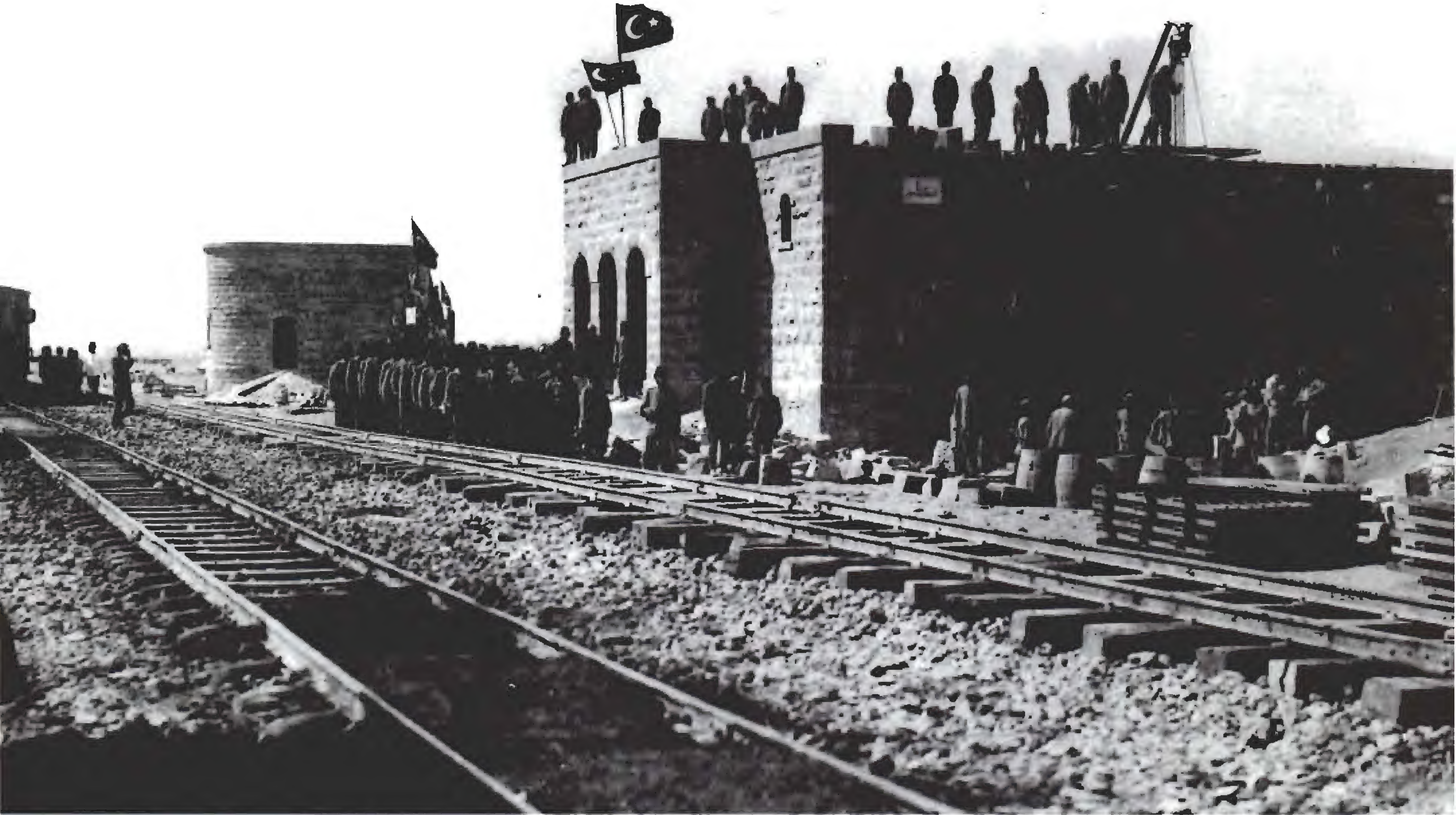


صورة لركاب يستخدمون خط سكة حديد الحجاز قبل افتتاحه  
الرسمي (ماونسيل Maunsell ١٣٢١/١٩٠٧م).





إنشاء محطة المعظم، إحدى محطات خط سكة حديد الحجاز بين تبوك ومدائن صالح (هالاجيان حوالي عام ١٩٠٨/١٣٢٢م).



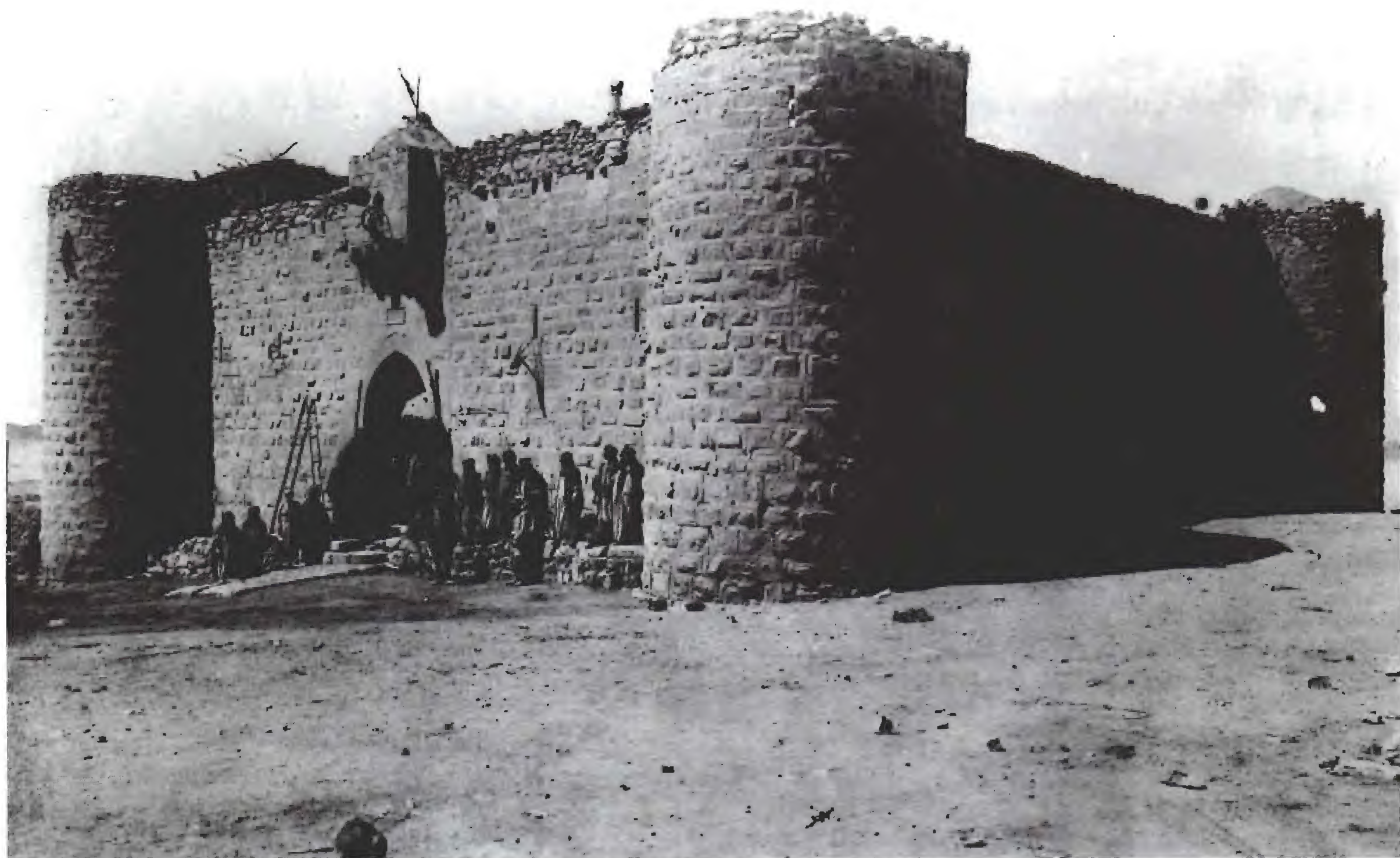


شيوخ قبائل شمال الحجاز يتجمعون في العلا بمناسبة افتتاح خط سكة حديد الحجاز (هالاجيان  
١٩٠٨/١٣٢٢م).





قلعة في المعظم يعود تاريخها إلى القرون الوسطى. لقد تبع خط سكة حديد الحجاز طريق الحج التقليدي من دمشق وكان يمر على محطات مبنية حول برك مياه محصنة مثل تبوك والمعظم والأخضر ومدائن صالح (هالاجيان ١٣٢٣/٨م١٩٠٨).









الصفحة المقابلة: مجموعة من الحجاج حين نزولهم إلى ميناء جدة (كليمو Clemow ١٩٠٦/١٢٢٠م).

باب مكة، جدة. التقط الصورة الدكتور إف. جي. كليمو، ربما حينما كان مندوب بريطانيا في اللجان الدولية لبحث الوقاية الصحية لساحل شبه الجزيرة العربية وخط سكة حديد الحجاز (كليمو ١٩٠٦/١٢٢٠م).

بيوت في مدينة جدة، التقط الصورة إل. فيوريو في بداية القرن الماضي (تسعينيات القرن الميلادي الماضي)، وكان مصوراً تجارياً بارزاً اتخذ من الإسكندرية مقراً له منذ ثمانينيات القرن الثالث عشر (سبعينيات القرن الميلادي الماضي). ومن أشهر أعماله الصور التي التقطها لترميم قناة السويس وأثار القصف المدفعي البريطاني على الإسكندرية في عام ١٨٨٢/١٣٠٠م. (فيوريو، حوالي ١٨٩٠م)





سوق جدة (فيلبي ١٣٣٦/١٩١٧م).

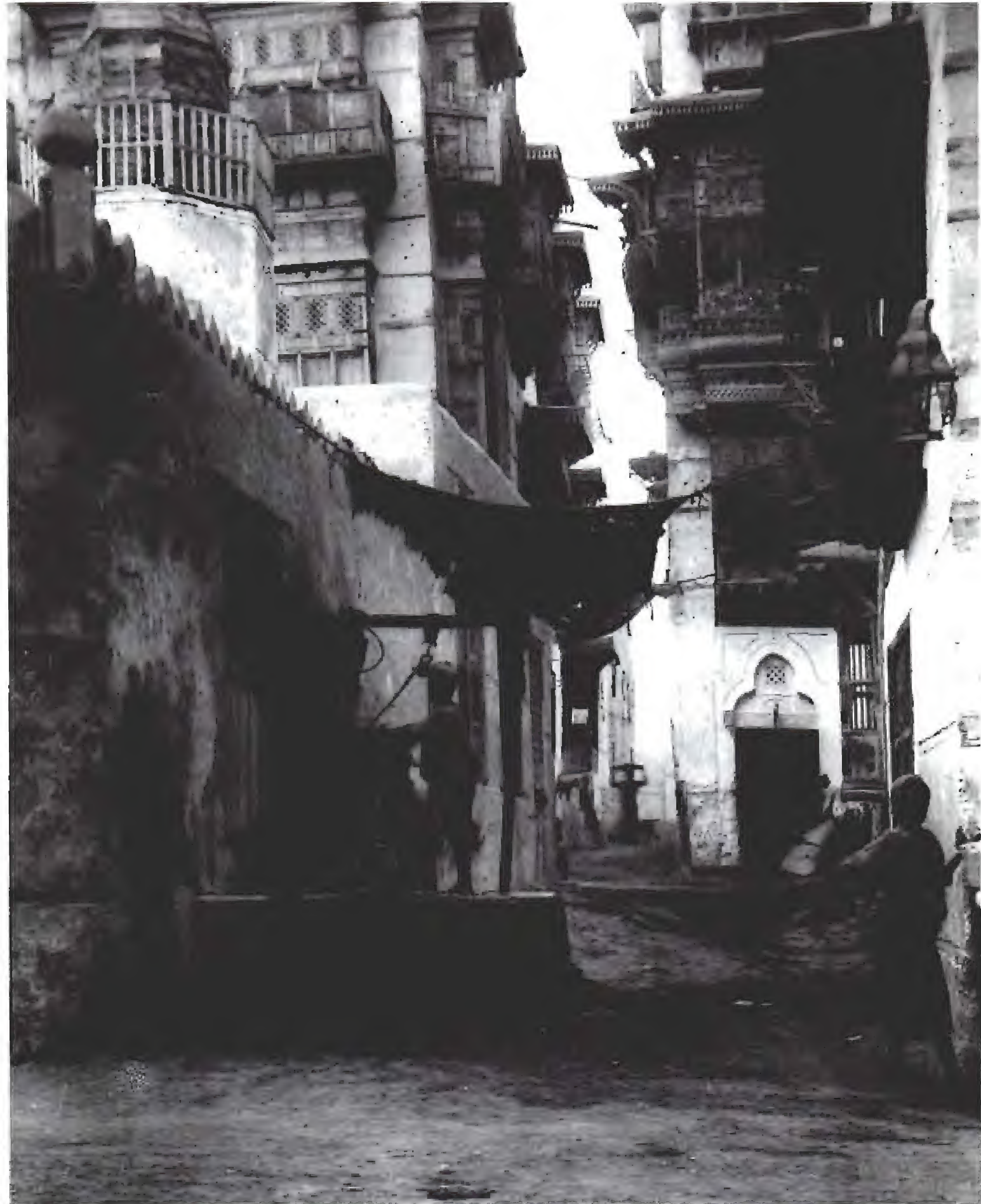


صورة لبني في جدة. التقطها على ما يعتقد، أوين تويدي Owen Tweedy الصحفي البريطاني خلال زيارته لجدة في عامي ١٣٤٦ و ١٣٤٧ (١٩٢٧ و ١٩٢٨م)، وقد ظهرت الصورة في ملف مصور كان يملكه نورمان مايرز الدبلوماسي البريطاني في جدة في الفترة من ١٣٤٥ إلى ١٣٤٦ (١٩٢٦-١٩٢٧م). (تويدي ١٩٢٧-١٩٣٨م)





شارع في جدة (لورانس ١٣٣٥/١٩١٦م).

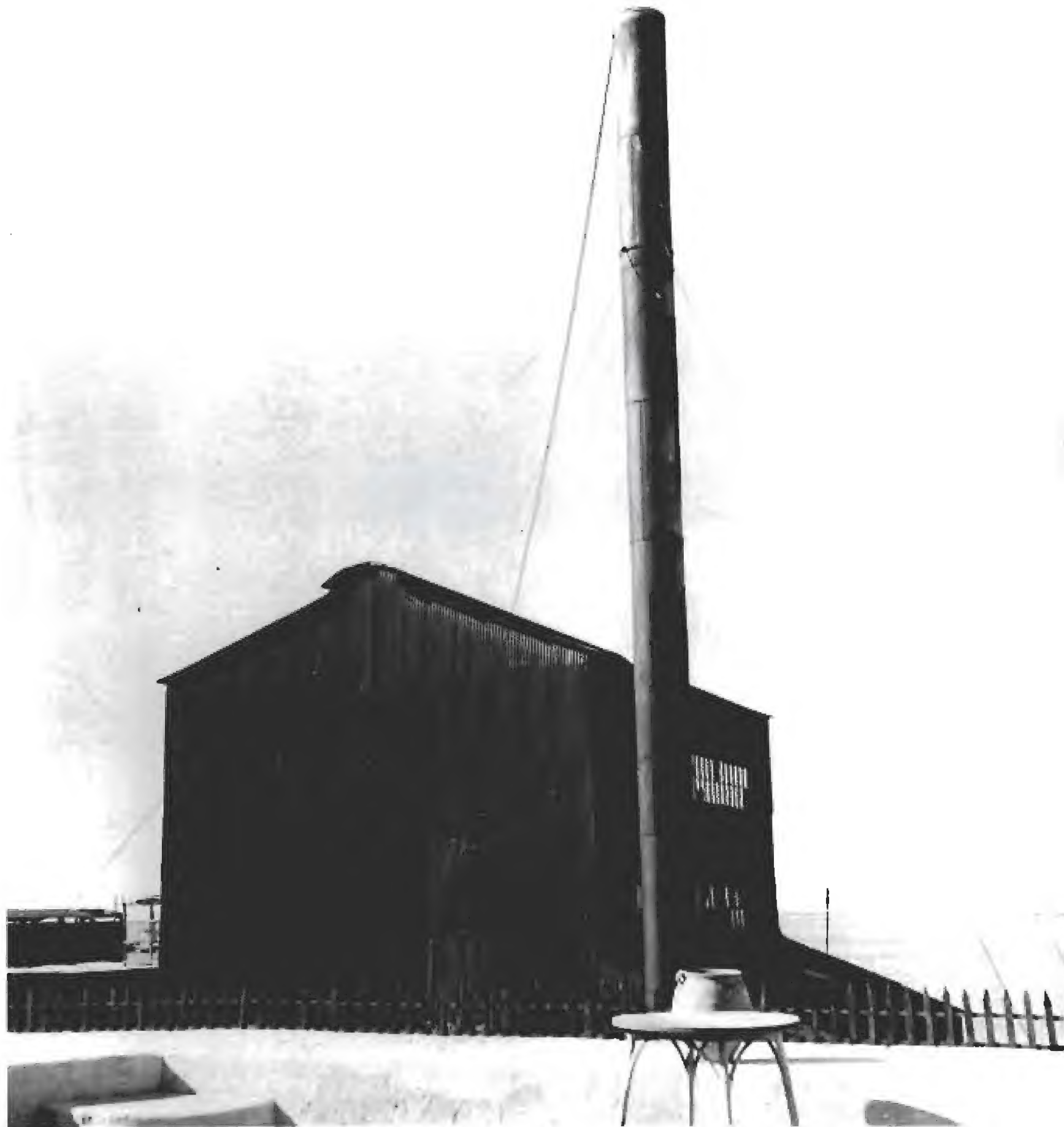




باب مكة من الخارج، جدة. تبدو في مقدمة الصورة إحدى عربات نقل الماء التي كانت شائعة في تلك الفترة (ستائيكس، خمسينيات القرن الماضي / ثلاثينيات القرن الميلادي الحالي).







يسار: إحدى مكثفات ماء البحر (الكنداسة) والتي  
أنشأها العثمانيون في بداية القرن الماضي لتحلية مياه  
البحر من أجل تعزيز موارد المياه في جدة (دي غاوري  
١٩٣٥/١٣٥٤م).





أعلى يمين: مرسى القوارب في ميناء جدة (أوليفار، ستينيات القرن الماضي / أربعينيات القرن الميلادي الحالي).

أعلى يسار: تفريغ السكر في ميناء جدة الجديد (أوليفار، ستينيات القرن الماضي / أربعينيات القرن الميلادي الحالي).

يسار: الحجاج في انتظار التفتيش في المحجر الصحي في جدة (أوليفار، ستينيات القرن الماضي / أربعينيات القرن الميلادي الحالي).

الصفحة المقابلة: بيت البغدادي، أحد مباني جدة الرفيعة وقد أصبح مكتبا لشركة النفط الأمريكية صاحبة الامتياز منذ عام ١٣٥٢/١٩٣٣م (أوليفار، ستينيات القرن الماضي / أربعينيات القرن الميلادي الحالي).









يسار: قوات عربية تركب البواخر من ميناء الوجه، المرفأ الصغير الواقع على البحر الأحمر، خلال الثورة العربية. ضد الحكم العثماني في عام ١٩١٧/١٣٣٦م (كامبل Campbell، ١٩١٧م)

السوق في الوجه (غوزليت Goslett ١٩١٦-١٩١٧م).





قوارب شراعية ترسو في ينبع، ميناء المدينة المنورة في أواخر الخمسينات من القرن الماضي (أواخر الثلاثينيات من القرن الميلادي الحالي). كان على القوارب الأكبر أن ترسو بعيدا في البحر الأحمر ليتم تفريغها عن طريق القوارب الصغيرة مثل التي تحتل مقدمة الصورة (ستاينيكى حوالي ١٩٣٠م).



شارع في ينبع عام ١٩١٦/١٣٣٥م. يماثل النمط المعماري المحلي نمط مدينة جدة. وقد أقام تي. إيه. لورانس بالمنزل الواقع على اليمين (لورانس ١٩١٦-١٩١٧).





منظر فريد للطائف، لصور مجهول الهوية، ربما في بداية القرن الماضي  
(تمعينات القرن التاسع عشر الميلادي).



أسفل: وادي محرم، غرب الطائف في الطريق إلى مكة المكرمة عبر الهدا  
(فيلبي ١٣٤٩).







يسار: مرفأ أمليج الصغير الواقع على البحر الأحمر خلال الثورة العربية (لورانس ١٩١٧/١٣٣٦م).





## المنطقة الوسطى

يحظى وسط شبه الجزيرة العربية، الذي ينقسم إلى نجد الأعلى غرباً، ونجد الأسفل شرقاً، بحدود جغرافية واضحة، وهي حدود لعبت دورها في عزل المنطقة عن التأثيرات الخارجية. فإلى الشمال تحدها صحراء النفود والتي تتفرع عنها كثبان الدهناء الرملية المتحركة في اتجاه الجنوب لتقيم حاجزاً يحدد معالم الطرف الشرقي من نجد، وتلتحم رمال الدهناء من جهة الجنوب بالربع الخالي المستعصي على العبور.

تنحدر نجد انحداراً خفيفاً إلى جهة الشرق من جبال الحجاز حتى تلتقي بأمواج الرمال المتوجهة شمالاً وجنوباً وبجروف نجد الأسفل الحادة الانحدار والمتجهة غرباً. يعتبر جبل طويق، عمود الجزيرة العربية الفقري، أهم تلك الجروف، وكان من شأن الوديان التي تحمل مياه غرب شبه الجزيرة العربية وجبل طويق أن جعلت نجد الأسفل منطقة مروية بشكل جيد. ازدهر الاستيطان لآلاف السنين خصوصاً في وادي حنيفة والقصيم، وبالمقابل ظل نجد الأعلى معقلاً لقبائل بدوية كبيرة مثل عتيبة وقحطان وحرب.

كونت الخرج ومنطقة وادي حنيفة التي تقوم عليها الرياض اليوم، في فترة ما قبل الإسلام مملكة اليمامة. وأصبحت نجد، بعد فترة سكون في القرون الإسلامية الأولى، مأهولة من جديد بحلول القرن التاسع (القرن الخامس عشر الميلادي)، وتعود إلى تلك المرحلة بالتحديد جذور الاستيطان الحضري التي ما تزال نراها اليوم.

أصبحت المستوطنات في مناطق نجد الأسفل في القصيم وسدير والوشم ووادي حنيفة، في أحيان عديدة من القوة بحيث نصبت نفسها سلطة إقليمية بسطت نفوذها على قبائل البدو. ولقد بلغت تلك العملية أوجها في القرن الثاني عشر (القرن الثامن عشر الميلادي) حين تضافرت جهود الإمام محمد بن سعود في الدرعية مع الشيخ محمد بن عبد الوهاب لإقامة مجتمع إسلامي أصيل، ونشر رسالة الدعوة الإصلاحية في طول شبه الجزيرة العربية وعرضها. انتقل مقر السلطة من الدرعية إلى الرياض في عام ١٢٤٠ (١٨٢٤م) مضافاً على العاصمة شرعية ما زالت باقية حتى اليوم.

كانت القصيم ببلديها التوأمين الواحيتين عنيزة وبريدة، وبالقرى الزراعية الأصغر مساحة، أكثر مناطق نجد سكاناً، وقد مارس تجار تلك المنطقة تجارة قوافل رابحة بين العراق والشام والحجاز، وكان هناك تنافس بين مدينتي بريدة وعنيزة خاصة مع موقعهما بين حائل ووادي حنيفة.

الصفحة المقابلة: الجزء الغربي للسوق في الرياض، ويرى فيه سوق النساء تحت حائط قصر الحكم إلى اليسار، والمنطقة الرئيسية المتاخمة للجامع الكبير إلى اليمين (شكبير ١٣٣٣/١٩١٤م).









أعلى: الملك عبد العزيز آل سعود، وكان في هذه المرحلة من حياته، سلطان نجد وملحقاتها (الرياحاني ١٣١٤/١٩٢٢م).

يمين: قصر البديعة، مقر الضيافة الرسمي في الرياض، والواقع على الضفة الغربية لوادي حنيفة. (دي غاوري ١٣٥٨-١٣٥٩/١٩٣٩-١٩٤٠م).

أعلى الصفحة المقابلة: توزيع الإبل في الشمسية الواقعة خارج أسوار مدينة الرياض، قبل بدء إحدى الحملات (شكيبير ١٣٢٣/١٩١٤م).

أسفل الصفحة المقابلة: ساحة الصفاة بالرياض، وهي مزدحمة بالناس بعد صلاة الجمعة (دي غاوري ١٣٥٥/١٩٣٦م).





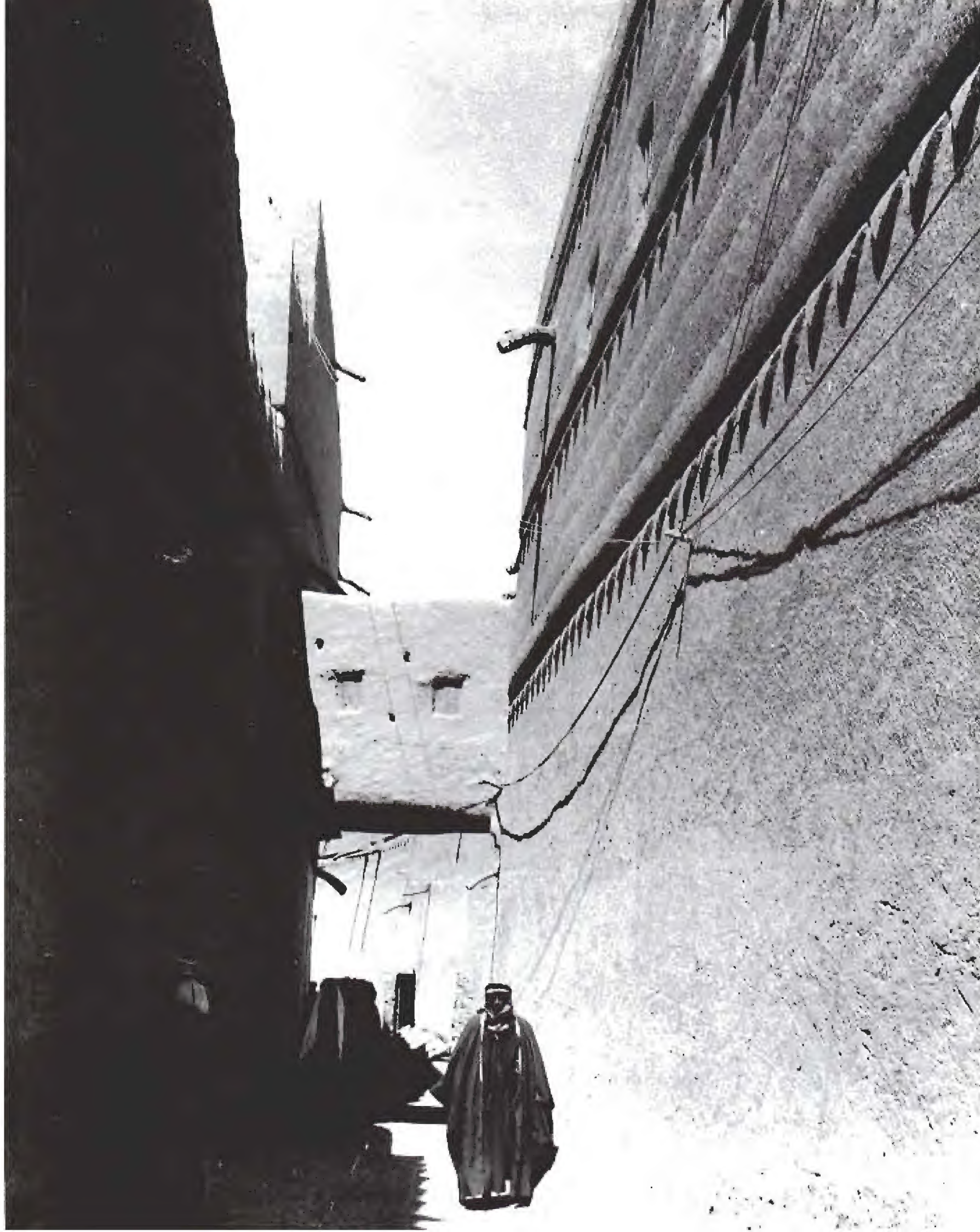




ساحة الصفاة بالرياض (ريندل ١٣٥٦/١٩٣٧م).







شارعان من شوارع مدينة الرياض القديمة  
(ريندل ١٣٥٦/١٩٣٧م).



الجزء الجنوبي من سور مدينة الرياض، بالقرب من بوابة دخنة (ستائنيكي ١٣٥٦/١٩٣٧م).







بوابة دخنة، إحدى البوابات الجنوبية  
للرياض. كان على سور المدينة القديمة تسع  
بوابات ونحو عشرين من الأبراج، وكان  
عرضها يقل عن الثمانمائة متر (ستاينكي  
١٩٣٧/١٣٥٦م).

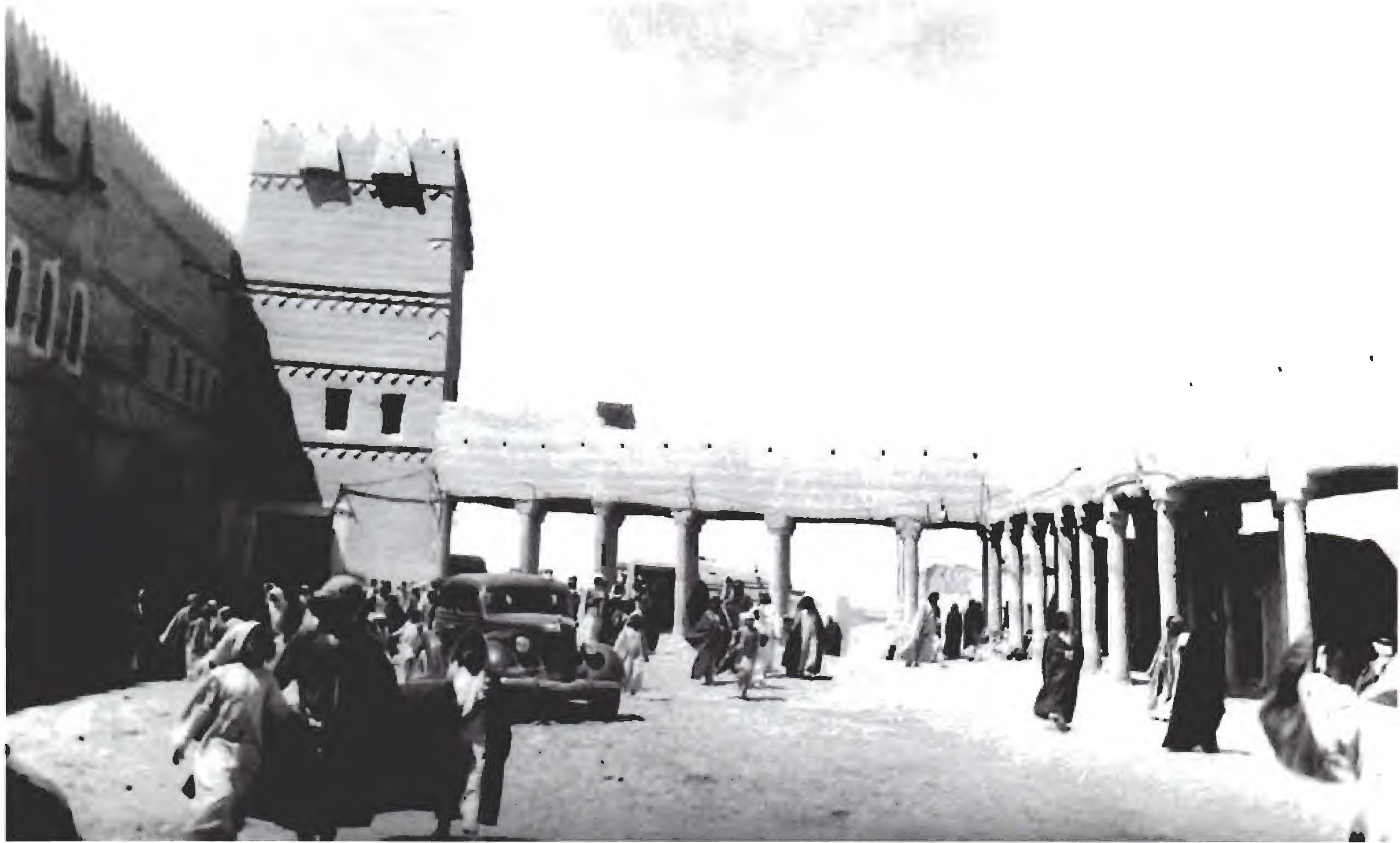






المدخل الرئيسي لقصر الحكم. يصل الجسر القصر ببيت المال عابرا الطرف الشرقي من السوق (ستائنيكي)  
١٩٣٧/١٣٥٦ م).

الصفحة المقابلة: البوابة الخلفية لقصر الحكم بالرياض، وتظهر أمامه بعض السيارات، وكان استيراد  
السيارات قد بدأ منذ بداية الأربعينيات من القرن الماضي / عشرينيات القرن العشرين الميلادي (ستائنيكي)  
١٩٣٧/١٣٥٦ م).





إسطبلات خيول الملك عبد العزيز في الخرج.  
كانت الخيول العربية أعز مقتنيات حكام  
شبه الجزيرة العربية، وتعتبر هذه الخيول  
من أفضل الخيول في العالم (دي غاوري  
١٣٥٢-١٣٦٢/١٩٣٤-١٩٤٤)

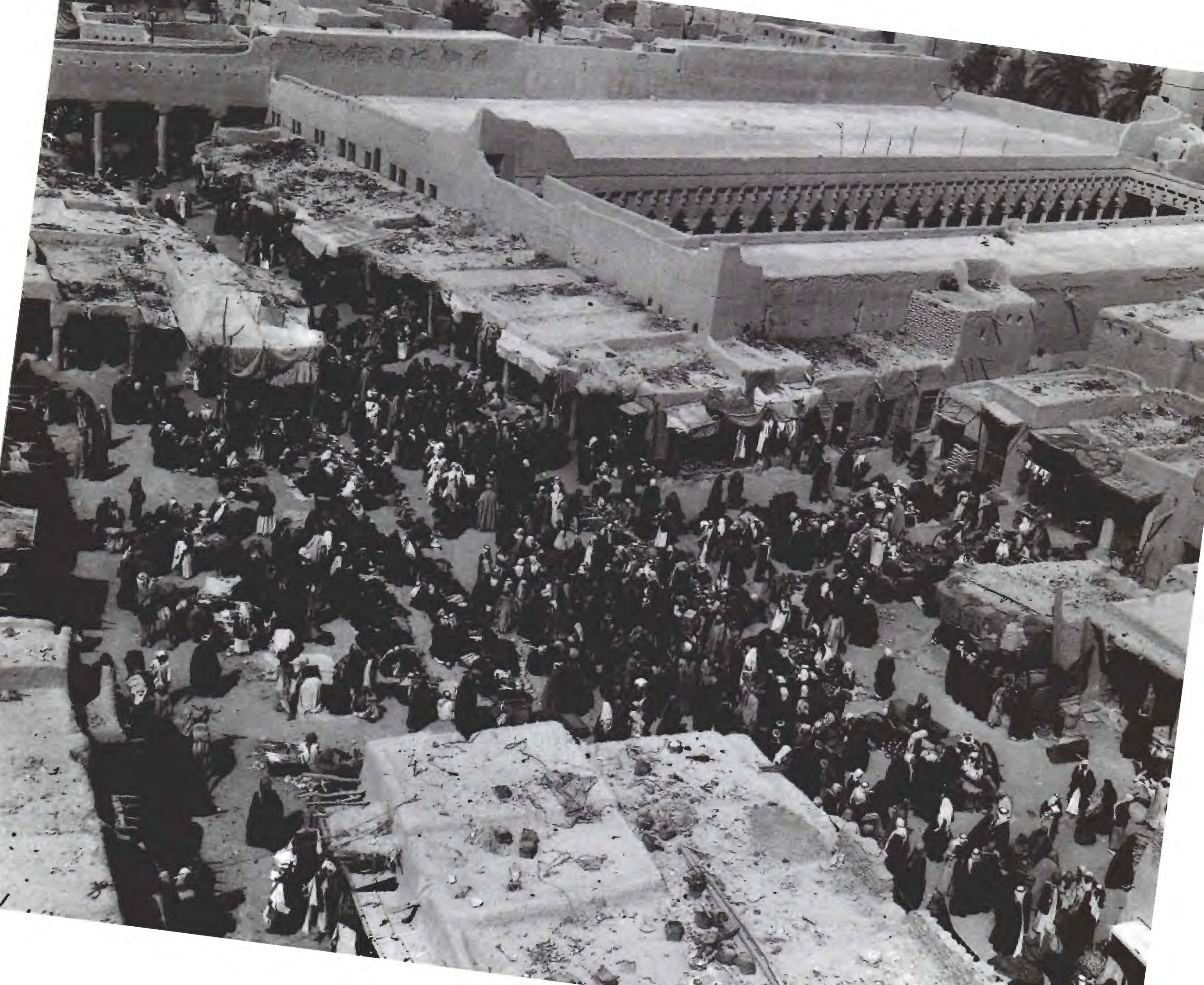


جزء من سوق الرياض عام ١٩٣٧م،  
ولعله المعروف باسم بركة المريقب في  
الجانب الغربي من المدينة القديمة (ريندل  
١٩٣٧م).



الصفحة المقابلة: السوق الرئيسي في الرياض  
عام ١٣٦٩ (١٩٤٩م)، ويبدو في خلفية الصورة  
الجامع الكبير بأعمدته المتميزة. كان الجسر  
الواصل بين الجامع والقصر لتمكين الملك عبد  
العزيز من التحرك بيسر وأمان. التقطت  
هذه الصورة من جهة قصر الحكم، وقد تم  
هدم المنطقة كلياً في السبعينيات من القرن  
الماضي (الخمسينيات من القرن الميلادي  
الحالي) لإفساح المجال للبدء في بناء مركز  
المدينة الجديد. (والترز ١٩٤٩م).







في سوق بريدة (فيلبي ١٣٣٧/١٩١٨م).







يسار: عيون الجوا، إحدى واحات شمال القصيم، ولم يكن لها سور بخلاف المعتاد في نجد. يمثل البرج الدائري الذي كان سمة للمآذن أيضاً أحد ملامح العمارة التقليدية في القصيم (ليثمان ١٩١٢/١٣٢١م).

أسفل: بريدة من جهة الشمال. كانت بلدتا بريدة وعنيزة المتجاورتان مركزي القصيم الرئيسيين (شكسبير ١٩١٤/١٣٢٣م).





عائلة من قبيلة السهول تستعد الترحال من أبار الرمحية.  
(تيسيفر ١٣٦٥/١٩٤٥م).







يمين: أحد رجال القبائل البدوية في روضة التنهات في نجد  
(تيسيفر ١٣٦٥/١٩٤٥م).

أسفل: ولد من قبيلة السهول إحدى القبائل البدوية الرئيسية في نجد،  
وذلك عند أبار الرمحية شمال الرياض. (تيسيفر ١٣٦٥/١٩٤٥م).

أسفل: رجال من قبيلة السهول يسقون الإبل في أبار الرمحية  
مستخدمين المنهل والإطار الخفيفين العاديين. (تيسيفر ١٣٦٥/١٩٤٥م).





واحة وبلدة مرات في الوشم إحدى مناطق نجد الأسفل المزدهرة، والتي مركزها مدينة شقراء الواقعة بين الرياض والقصيم. كانت أسوار المدن التقليدية في نجد وحدانيتها مبنية لجمع الرمال والمتسللين، وكان الري يتم عن طريق الآبار التي كان يستخرج منها الماء بواسطة المواشي. كانت الحبوب تزرع في سنوات الأمطار الغزيرة خارج الأسوار كما يبدو في مقدمة الصورة (تيسيفر ١٣٦٥/١٩٤٥م).









## المنطقة الشمالية

تشرف صحراء النفود العظمى ممتدة عبر شمال شبه الجزيرة العربية لتمثل حاجزاً بين نجد وبادية الشام شمالاً، وتشكل التلال الرملية حاجزاً مانعاً للاتصال خاصة في فصل الصيف، بيد أنه ما أن ينتهي موسم الأمطار في الشتاء والربيع حتى تكتسي المنطقة بمراع وافرة تتنازع عليها قبائل البدو المجاورة.

كان منخفض الجوف بواحيته التوأمتين دومة الجندل وسكاكا على الطرف الشمالي من النفود، لقرون عدة، بوابة لوسط شبه الجزيرة العربية، إذ أنه يقع على ملتقى الطرق المتصلة بالعراق وبلاد الشام، وكان من يسيطر على الجوف عادة ما يسيطر على شمال شبه الجزيرة العربية. كانت الجوف قبل تأسيس المملكة العربية السعودية محل نزاع بين شيوخ آل شعلان من قبيلة الرولة، وهي من قبائل عنزة التي تسيطر على بادية الشام الواقعة في شمال شبه الجزيرة، وبين حائل معقل ابن رشيد وقبيلة شمر.

تقع حائل على الطرف الجنوبي من النفود محمية من الرمال بجبل أجا، وقد أصبحت حائل في أواخر القرن الثاني عشر (أواخر القرن التاسع عشر الميلادي)، ولحين من الزمن، القوة السائدة في نجد، مطفئة بريق الرياض، بيد أنه تم إعادة استيعابها إلى الدولة السعودية الوليدة في عام ١٣٣٩ (١٩٢١م).

كانت في منطقة حائل وعبر قرون مواطن كبيرة تسيطر على طرق قوافل الحج والتجارة بين العراق والحجاز، ولكن كانت تيماء الواقعة قبالة الطرف الغربي من النفود والجوف تزهوان بتاريخ أكثر عراقية منها نظراً لوجود المواقع الأثرية فيها. كانت نجد وشمال شبه الجزيرة العربية وأجزاء أخرى منها، مهد المجتمع القبلي العربي، بدواً وحضراً، والذي يعتمد على الإبل والنخيل، ذلك المجتمع الذي انطلق إلى خارج حدود شبه الجزيرة العربية مع الفتوحات الإسلامية في القرن الأول الهجري (القرن السابع الميلادي). ميزت الصفة القبلية حائل وتيماء والجوف ووادي السرحان حتى العصر الحديث، فهي مواطن قبلية أصلاً تحكمها وتتخذها مقراً لها القبائل البدوية المحاربة.

كان وادي السرحان، الذي هو منخفض طولي أكثر منه واد، المنفذ الرئيسي للاتصال ببلاد الشام. وكانت القرى التي تقع على أطرافه الشمالية تسمى بقرى الملح، ومنها بلدة القريات، وذلك بحكم صناعتها الرئيسية المتمثلة في تحفيف الملح ونقله إلى الشمال.

الصفحة المقابلة: كان لسور وأبراج مدينة حائل والمبنية من الطين نمط خاص متميز (غير تروود بيل ١٩١٤/١٣٣٣م).







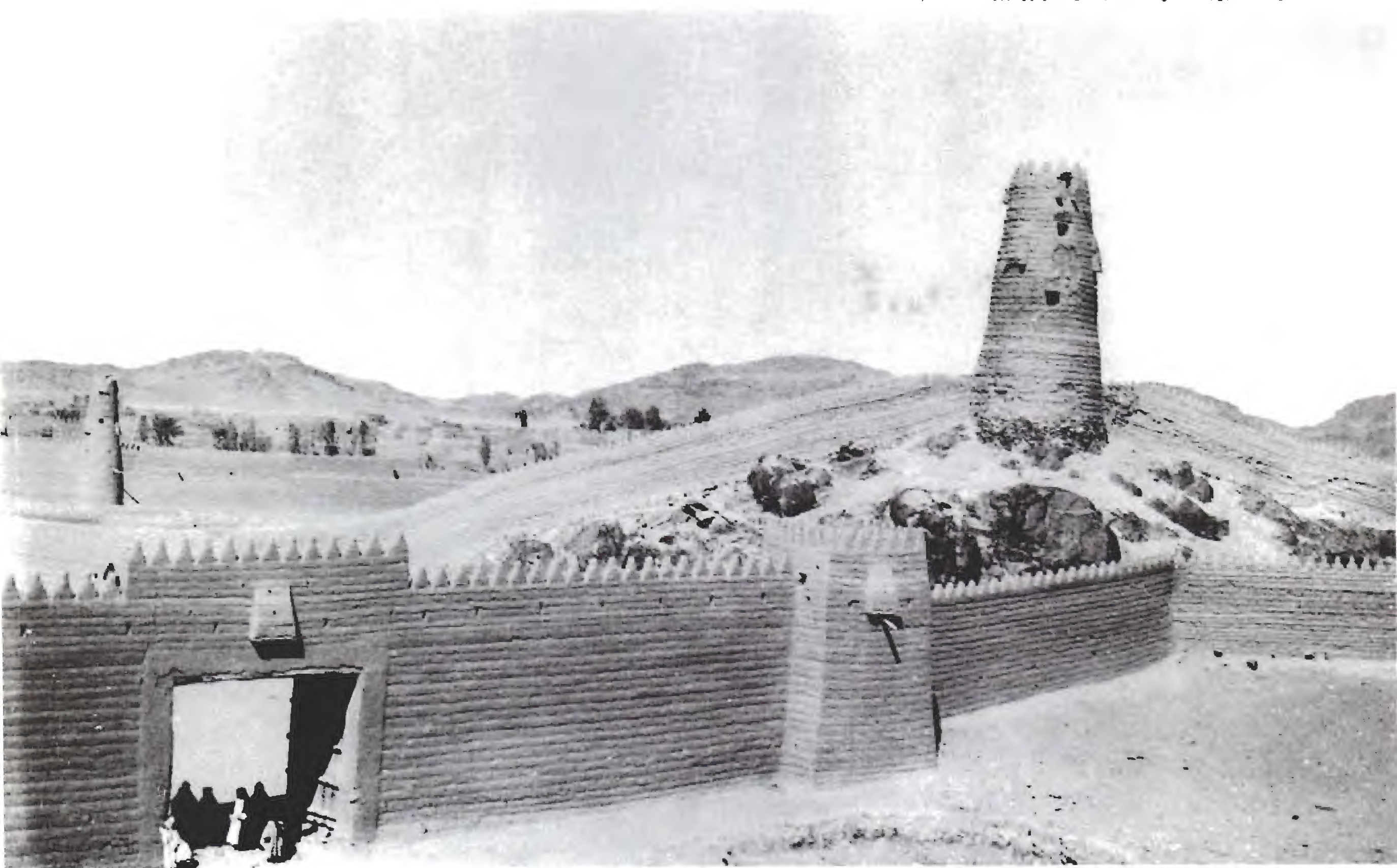




أعلى الصفحة المقابلة: سطوح المنازل في حائل (غير ترود بيل ١٣٣٣/١٩١٤م).

أسفل الصفحة المقابلة: الميدان الرئيسي في وسط حائل (غير ترود بيل ١٣٣٣/١٩١٤م).

أسفل: إحدى بوابات السور المحيط بحائل (غير ترود بيل ١٣٣٣/١٩١٤م).







يمين: الروشن في حائل، أو قاعة الاستقبال. وصفتها غيرتروود بيل بقولها:  
 'جرى استقبالي في روشن القصر وهو مكان في منتهى الروعة، له أعمدة  
 ضخمة تدعم سقفاً عالياً جداً. كانت الحيطان مطلية باللون الأبيض، وكانت  
 الأرض من الجص اللامع والذي بدا كما لو أنه كان مصقولا. جلسنا وظهورنا  
 للحيطان على السجاجيد والوسائد' (غيرتروود بيل ١٩١٤/١٣٣٣م).

يمين الصفحة المقابلة: الانتظار في مدخل بيت أحد وجهاء حائل. (غيرتروود  
 بيل ١٩١٤/١٣٣٣م).

يسار الصفحة المقابلة: طريق في سوق حائل. (غيرتروود بيل ١٩١٤/١٣٣٣م).









أعلى: خيمة لقبيلة شمر. (غيرترود بيل ١٩١٤/١٣٢٣م).

يسار: في معسكر عودة أبو تايه في شمال غرب النفود على الطريق المؤدي إلى حائل. كان عودة شيخ الخويطات قد لعب دوراً جوهرياً في «الثورة العربية» وقد أُنس عليه تي. إي. لورانس في «أعمدة الحكمة السبعة». (غيرترود بيل ١٩١٤/١٣٢٣م).

الصفحة المقابلة: رجل من الخويطات أمام هودج، وكان الهودج يستخدم ساتراً أو مظلة من الشمس للنساء والأطفال في الترحال (غيرترود بيل ١٩١٤/١٣٢٣م).

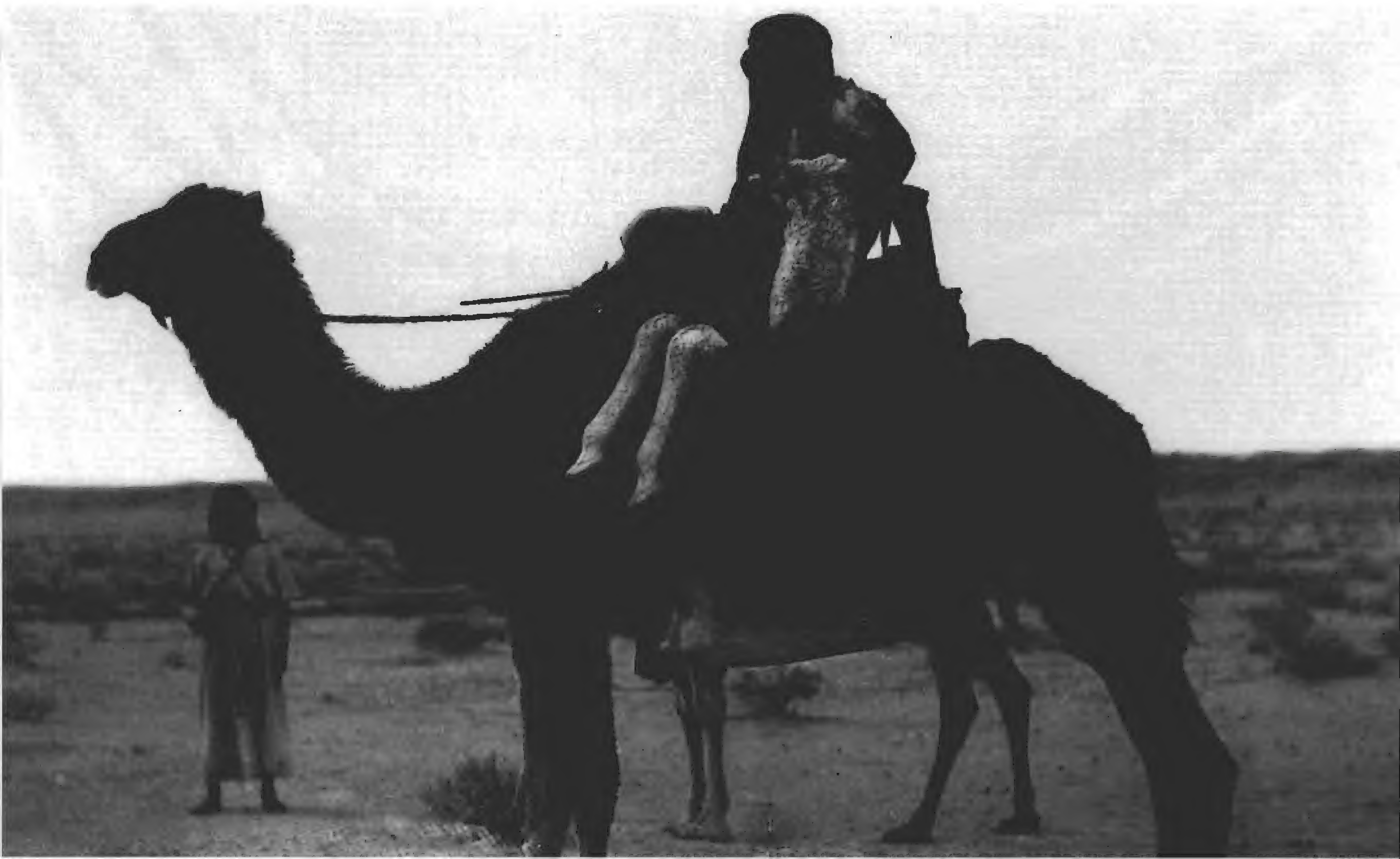


المنطقة الشمالية





جمل صغير محمول في وادي الباطن عند الصفا بالقرب من حفر الباطن (شكسبير ١٣٢٨/١٩١٠م).





جلب الماء من بئر في النفود، ويدوي خلفية الصورة كثيب هائل من الرمال. كان البدو يحملون بكرات صغيرة مثل التي في الصورة في ترحالهم (غير ترود بيل ١٩١٤/١٣٢٢م).





غزلان اصطادها رجال من الصلب (هولت ١٣٤٠-١٣٤١/١٩٢١-١٩٢٢م).







أعلى: رجل من الصلب. كان الصلب حرفيين وقفاء  
أثر وبياطرة، وكانوا يسكنون في شمال صحراء شبه  
الجزيرة العربية. كانوا يركبون الحمير ويعيشون في  
خيام بسيطة، وتنتظر إليهم القبائل نظرة دونية. كان  
الرجال من الصلب يرتدون لباساً شبيهاً بجلد الغزال  
مثل الذي في الصورة، ومشهود لهم بالمهارة في الصيد  
(غيرترود بيل ١٩١٤/١٣٢٣م).

يسار: فهد وشبله، اصطادهما رجل من قبيلة الرولة  
بين جبل طويق والنفود. كانت أبقار الوحش الإفريقية  
والغزلان والوعول والمها والنعام والفهود تشاهد في  
أحيان كثيرة في شمال شبه الجزيرة العربية وذلك قبل  
ظهور الأسلحة النارية ومن بعدها السيارات (رسوان  
حوالي ١٩٢٦/١٣٤٥م).



مجموعة من قبيلة الرولة عند الرحيل. كانت رايتهم التي تبدو في الصورة تسمى «المركب»، وهي إطار خشبي مثل هودج ضخّم مزين بريش النعام الأسود. يقال أن ذلك «المركب» تداولته أيدي القبائل على مر القرون، وأنه انتهى إلى قبيلة الرولة منذ عام ١١٨٩/١٧٧٥م. كانوا يضعون فيه إحدى نساء القبيلة عند الحرب، حيث تقوم بيت الحماس في قومها للدفاع عن القبيلة (رسوان حوالي ١٣٤٥/١٩٢٦م).











أعلى: قلعة قصر مارد العتيقة في دومة الجندل والتي جرى ترميمها حديثاً. يعتقد أن جذورها تعود إلى الأزمنة النبطية وربما قبلها (هولت ١٣٤٠-١٣٤١/١٩٢١-١٩٢٢م).

يسار: مسجد الخليفة عمر بن الخطاب في دومة الجندل. أحد أقدم المساجد في المملكة العربية السعودية، ويقال أن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد بناه (هولت ١٣٤٠-١٣٤١/١٩٢١-١٩٢٢م).







أعلى: داخل قصر مارد، أو قلعة الروثة. استخدم آل رشيد عندما كانوا يحكمون الجوف قلعة أخرى بنوها خارج الواحة مباشرة (شكيبير ١٣٣٣/١٩١٤م).

أسفل: منظر يطل على دومة الجندل، البلدة والواحة من قصر مارد. للمدينة تاريخ عريق وقد أتاح لها موقعها في المنحدر العميق سبيلاً إلى المياه (شكيبير ١٣٣٣/١٩١٤م).







قلعة الشيخ علي بن رمان حاكم تيماء (جاوسين وسافيناك ١٣٢٦/١٩٠٨م).

بنر هداك الكبيرة في تيماء والتي ما تزال تدار بالإبل. كانت تيماء واحدة منعزلة ذات تاريخ جاهلي زاخر، وقد ظلت هذه البئر مستخدمة لما لا يقل عن ألفين وخمسمائة عام (فيلبي، أوائل سبعينيات القرن الماضي / خمسينيات القرن الميلادي العشرين).





منظر لقرية كاف وواحتها، وهي إحدى قرى الملح في الطرف الشمالي من وادي السرحان. تم بناء القلعة الواقعة إلى اليمين من قبل ابن شعلان من قبيلة الرولة ليتخذها مقراً رئيسياً له (هولت ١٣٤٠-١٣٤١/١٩٢١-١٩٢٢م).





## المنطقة الشرقية

ظلت المنطقة الشرقية منذ قديم الزمن مسرحاً تمتزج فيه ثقافات وتأثيرات شتى من الخليج، وهي تأثيرات تتعارض أحياناً مع أساليب الحياة الأكثر تقشفاً وبساطة والسائدة في المناطق الداخلية من شبه الجزيرة العربية.

شهدت هذه المنطقة المعروفة الآن باحتياطياتها الوافرة من النفط والغاز، السلطة والرخاء في عصر تجارة القوافل قبل الإسلام، وكذلك في الفترة التي كانت فيها واحة الأحساء تحت حكم القرامطة في القرن الثالث (أوائل العصور الوسطى).

تعود المستوطنات في واحتي الأحساء والقطيف إلى آلاف السنين، وقد جعلت المياه الوفيرة، التي تبلغ سطح الأرض تحت تأثير ضغطها الذاتي، من الأحساء إحدى أكبر الواحات في العالم. كان من شأن هذه الواحة خلال القرون الأخيرة أن تدعم وجود بلدين كبيرتين وأكثر من خمسين قرية ونحو ثلاثة ملايين من أشجار النخيل. كانت الهفوف مقراً للسلطة المركزية وكانت سوقها من أهم أسواق المنطقة الشرقية من شبه الجزيرة العربية. وكان معظم أهل الهفوف من التجار والحرفيين والمزارعين قد خبت صلتهم بالقبيلة التي كانوا عليها يوماً ما، أما القطيف، الواحة الساحلية، فقد كان من سكانها صيادو السمك والغواصون الباحثون عن اللؤلؤ والبحارة لقوارب، وهؤلاء لم يكونوا قبليين في الغالب.

كانت القبائل البدوية تنتقل بين المراعي الخصبة في الشمال وبين اليباب الرملية في الربع الخالي في الجنوب، حيث اشتهر «المرء» بالصبر على الشدائد وباكتفائهم الذاتي. تمكنت القبائل الأقوى عبر القرون من السيطرة على المناطق الحضرية، لتستقر بها متحضرة في آخر الأمر. فبنو خالد مثلاً حكموا الأحساء في فترات متقطعة، بعد أن غادرها العثمانيون عام ١٠٨١ (١٦٧٠ م) وحتى أربعينيات القرن الثالث عشر (ثلاثينيات القرن التاسع عشر الميلادي). مثلت قبيلة العجمان وحتى وقت قريب نسبياً، خطراً على الواحات حتى عام ١٣٣١ (١٩١٣ م) عندما ضم الملك عبد العزيز آل سعود المنطقة الشرقية تحت السلطة السعودية.

حجب العداء التقليدي العلني بين البدو والحضر في المنطقة الشرقية، كما هو الحال عادة في شبه الجزيرة العربية، في الكثير من الأحيان، واقعاً أعمق من التكافل، فأسواق المدن والقرى كانت توفر للبدو الكثير من ضروريات الحياة مقابل منتجاتهم الحيوانية، فيما كان الحضر يعتمدون على البدو كحلفاء في الحروب بفضل تعداد رجالهم، وبما يملكونه من حيوانات ومن إبل. كذلك فإن الواحات، لدى المقارنة مع الأرض القفر اليباب، كانت كثيراً ما تغري البدو بالتحضر، مما أدى إلى ارتباطات قبلية متينة عبر الخط الفاصل بين البدو والحضر.

أعلى الصفحة المقابلة: الملك عبد العزيز آل سعود، وبعض أفراد عائلته وأتباعه في تاج. يقف إلى يمينه أخوه سعد بن عبد الرحمن الذي قتله العجمان في عام ١٣٣٤/١٩١٥ م (شكبير ١٩١١/١٣٢٩ م).

الصفحة المقابلة: رجال الملك عبد العزيز آل سعود يرحلون من تاج، المنطقة الشرقية (شكبير ١٩١١/١٣٢٣ م).







يجري في القسم من الخيمة المخصص للرجال  
بحث أمور اليوم أثناء تقديم القهوة، رمز الضيافة  
العربية الأصيلة. (باتيجيلي ١٣٧٠/١٩٥٠م).







أحد «الإخوان» أي رجال القبائل الذين بدأ الملك عبد العزيز آل سعود توطينهم في الهجر حوالي عام ١٣٣١ (١٩١٢م)، وقد بلغ عدد الهجر في نجد وشرق الجزيرة العربية الـ ٢٠٠ هجرة. كون الملك عبد العزيز من الإخوان قوة مقاتلة ساهمت في توحيد البلاد. تميز الإخوان بحماسهم وشدتهم وبساطة معيشتهم، وبزيهم الخاص البسيط (شيزمان ١٣٤٢/١٩٢٣م).

رجال من العجمان عند الرحيل (شكسبير ١٣٢٩/١٩١١م).





كان سوق الخميس مركز النشاط التجاري في الهفوف. تظهر هذه الصورة منظر البلدة من الجنوب ويبدو «الكوت» أو السور الداخلي للبلدة إلى اليسار. كانت الهفوف ذائعة الصيت في كل أنحاء شرق الجزيرة العربية بسبب كثرة السلع المتوفرة فيها سواء محلية أو مستوردة (فيلبي ١٩١٧/١٣٣٦م).







أعمال البيع والشراء في ظل أحد أبراج قلعة الكوت. في  
الهفوف (باتيجيلي ١٣٧٠/١٩٥٠م).



أسوار الهفوف. ساد اعتقاد في الماضي بأن بساتين النخيل كانت تبلغ حتى تلك الأسوار، إلا أن هناك أدلة على أن موارد واحه الأحساء المانية ظلت في نضوب منذ الأزمان السحيقة مما أدى إلى تقلص مساحة بساتين النخيل (تيسيفر ١٣٦٥/١٩٤٥م).







يسار: إحدى العيون الطبيعية الكبيرة في واحة الأحساء.

يمين: مسجد إبراهيم ذو القباب في حي الكوت في الهفوف. شيد العثمانيون المسجد خلال فترة حكمهم الأولى للواحة بين عامي ٩٥٦ و١٠٨١/١٥٤٩-١٦٧٠م (فيلبي ١٣٢٦/١٩١٧م).

أسفل يسار: السوق المسقوف، الهفوف (تيسفر ١٣٦٥/١٩٤٥م).

أسفل يمين: باب دار القصبي في الهفوف، والتي بنيت في أوائل الأربعينيات من القرن الماضي (عشرينات القرن الميلادي الحالي)، وتعكس الزخرفة الجبسية هنا تأثيرات خليجية قوية (ريندل ١٣٥٦/١٩٣٧م).





جزء من سور القطيف في خمسينات القرن الماضي (ثلاثينيات القرن الميلادي الحالي). تظهر في مقدمة الصورة أكوام من الحجر الجيري المعد لحرقة من أجل أعمال الجبس أو الدهان (ستانيكي حوالي ١٩٣٠م).





إحدى قرى واحة الأحساء وتقع بالقرب من جبل قارة. كان نخيل واحة الأحساء يتعهد بالرعاية من مزارعين يعيشون في أكثر من خمسين قرية. (المصور مجهول الهوية: أرامكو ١٩٥٠-١٩٦٠م).







أعلى: قلعة محمد آل عبد الوهاب، تاجر اللؤلؤ الغني من دارين الواقعة على جزيرة تاروت.  
كان لتاروت والقطيف دور مهم في صيد اللؤلؤ في الخليج العربي (بيرسي كوكس Cox  
١٩٠٥/١٣٢٣م).

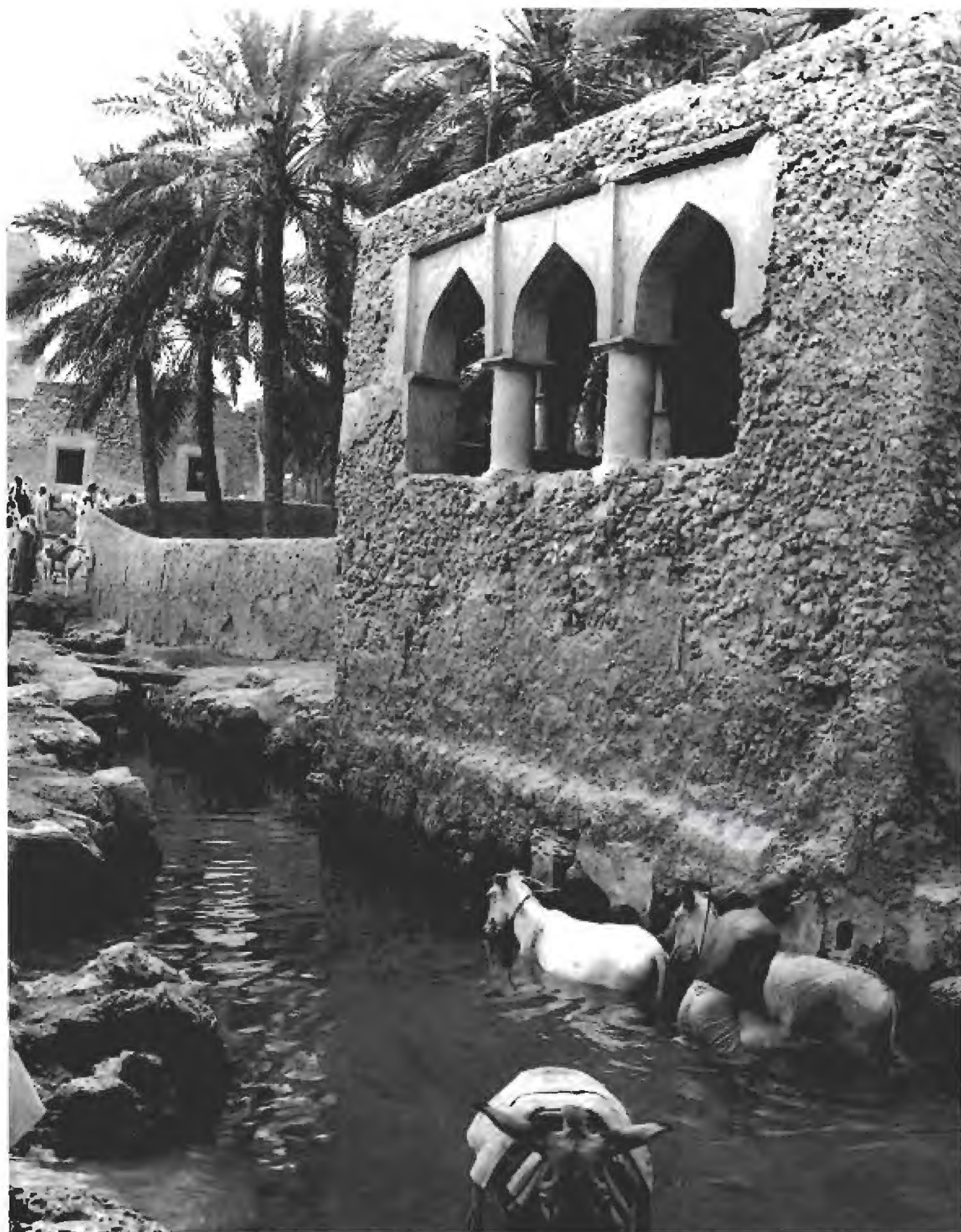
يمين: الجمارك في ميناء العقير (ستينيكي خمسينات القرن الماضي/ ثلاثينيات القرن الميلادي  
الحالي).

أسفل يسار: شاطئ مدينة الجبيل القديمة، وكانت وقتها قرية صغيرة لصيادي السمك  
(باتيجيلي حوالي ١٩٥٠/١٣٧٠م).

أسفل يمين: مركب لصيد اللؤلؤ. كان الغطاسون يسترخون فيه قبل أن يغطسوا مجدداً  
(باتيجيلي حوالي ١٩٥٠/١٣٧٠م).







غسل الحمير في واحة القطيف. كانت هذه الحمير القوية البيضاء عماد التنقل في الأحساء والقطيف (باتيجيلي حوالي ١٣٦٨/١٩٤٨م).



مخيم صغير للمرة في الربع الخالي. (توماس ١٣٤٩-١٣٥٠/١٩٢٠-١٩٢١م).





شق الطريق عبر الكثبان الرملية في غرب الربع الخالي إلى الجنوب من قرية  
الفاو (تيسيفر ١٣٦٨/١٩٤٨ م).





أول مصفاة لأرامكو في رأس تنورة (باتيجيلي ١٣٦٦-١٣٦٧/١٩٤٦-١٩٤٧م).





بدأ إنشاء خط سكة الحديد بين الرياض والدمام في عام ١٣٦٧/١٩٤٧م، واكتمل في عام ١٣٧١/١٩٥١م  
(والترز ١٣٧١/١٩٥١م).





## المنطقة الجنوبية الغربية

تتضافر جبال جنوب الحجاز المطيرة وسهل تهامة القانظ والصحراء القاحلة المنحدرة إلى شرقي المرتفعات لتشكل منطقة تمتاز عن غيرها من أراضي المملكة العربية السعودية المتباينة بانعزالها ووعورتها البالغة المتنوعة.

تنعم الجبال بالأمطار المنتظمة والتي تهطل عليها مرتين سنوياً، حيث تأتي شتاءً من جهة الشمال، فيما تهطل الأمطار الموسمية صيفاً، ويمكن في أعالي الجبال زراعة الحقول المصطبة دون الحاجة لريها، على أن الري في منطقة السهل الساحلي يتم عن طريق تحويل مياه السيول التي تتدفق إلى الوديان من الجبال.

كان من شأن الأمطار، والشمس المشرقة، والأرض الممتدة من مستوى سطح البحر إلى ارتفاع ثلاثة آلاف متر أن أتاحت طبوغرافية ونباتات مذهلة التنوع، حيث يمكن للمرء الانتقال من أدغال الدوم الكثيفة في مجاري الحمم البركانية القديمة بالقرب من الساحل إلى غابات الرعرع الصنوبري المكتسية بالرداذ على قمم الجبال. تنحدر المرتفعات إلى جهة الشرق برفق لتتلاقى بالسهول الصحراوية لغرب منطقة نجد. وقد ظلت المدن والقرى في الواحات والوديان في تلك المنطقة، وخصوصاً نجران وبيشة، لقرون عدة نقاط اتصال حيوية بين سكان المرتفعات والقبائل البدوية رعاة الإبل في داخل شبه الجزيرة العربية.

تضم تلك المنطقة الشاسعة العvisية على العصور، والتي لا زالت بعض أجزائها غير مستكشفة تماماً، قبائل شتى تنقسم أراضيها، وتقوم مناطق القبائل الجبلية متوازية عمودياً على القمم الممتدة على طول سلاسل الجبال لتشمل جزءاً من المرتفعات ومن سفوح تهامة معاً. تختلف هذه القبائل عن معظم القبائل السعودية الأخرى بكون أفرادها مقيمين بأراضيهم في معظم الأحيان ومتعلقين بها. توجد بالسهل الساحلي حول جازان قرى لا قبلية سكنها الحضر من الفلاحين الذين كانوا يسكنون أكواخاً دائرية ومستطيلة متميزة مبنية من أغصان الأشجار.

يعود تاريخ عسير إلى عصور ما قبل الإسلام، ويمكن اعتبارها أرضاً للبنايين، وكانت البيوت، إلى وقت قريب، تبنى على نسق معمارية محلية مذهشة تتراوح ما بين المباني البرجية المبنية من الحجر والطين في مرتفعات عسير وفي نجران، وبين الأكواخ المبنية من طابق واحد في جنوب الحجاز والباحة وظهران الجنوب، وبين الأكواخ المبنية من أغصان الأشجار على سهل تهامة والمشهورة بزخرفتها الداخلية الغنية.











أسفل: درس القمح بالطريقة التقليدية في المرتفعات القرية من أبها (تيسفر ١٣٦٥/١٩٤٥م).

الصفحة المقابلة: الحركة خارج قلعة شدا في أبها. بنى القلعة أصلاً الأمير عانض بن مرعي في ستينيات القرن الثالث عشر (خمسنيات القرن التاسع عشر الميلادي)، ثم أصبحت فيما بعد المقر الرئيسي للإمارة في بداية العهد السعودي (تيسفر ١٣٦٧/١٩٤٧م).





أعلى الصفحة المقابلة: منزل من طابق واحد بمنطقة الباحة (تيسيفر ١٣٦٥/١٩٤٥م).

أسفل الصفحة المقابلة: قرية بحقولها المصطبية على جبل السود (تيسيفر ١٣٦٥/١٩٤٥م).

أسفل: رجال القبائل يطلقون نيران بنادقهم القديمة ابتهاجاً في إحدى المناسبات، النماص (تيسيفر ١٣٦٦/١٩٤٦م).





أدنى: على جبل السود، الذي يبلغ ارتفاعه ثلاثة آلاف متر، وهو أعلى منطقة في المملكة العربية السعودية (تيسيفر ١٣٦٧/١٩٤٧م).







رجال قبيلة المسارحة في تهامة بالقرب من جازان  
(ماكغراث/فوربز ١٣٤١/١٩٢٢م).



باعة المياه بالقرب من جازان وهم يرتدون أغطية  
الرأس المتميزة (ماكغراث/فوربز ١٣٤١/١٩٢٢م).

الصفحة المقابلة: منزل لتاجر محلي اسمه عبد  
العزیز بن بسام في جازان. كانت بيوت العائلات  
الثرية في جازان وصبيا وفي جزيرة فرسان تبني  
على هذا النمط المكسو بالخزفة الجبسية، وهو  
نفس النمط الذي كان عليه قصر الإدريسي في  
صبيا (فيلبي ١٣٥٥/١٩٣٦م).



المنطقة الجنوبية الغربية











مسجد في أبوعريش وهي مثل صبيا وجازان إحدى مدن الجنوبية  
في تهامة عسير (فيلبي ١٣٥٦/١٩٣٧م).



منازل قشية دائرية ومستطيلة (عشاش) في أبوعريش، وهي  
مدهونة من الداخل بألوان زاهية (ثيسيفر ١٣٦٧/١٩٤٧م).

الصفحة المقابلة: أحد المشاهد المألوفة في صبيا للطريقة التقليدية  
لاستخراج الزيت من السمسم، وهو أحد المنتجات الرئيسية لتهامة  
(ثيسيفر ١٣٦٧/١٩٤٧م).



السوق في سفح جبل فيفا، وهو أحد العديد من الجبال الشاهقة المنعزلة في تلال تهامة (تيسفر ١٩٤٧/١٣٦٧م).





يمين: منطقة سكنية في قلعة القطيع، في المنطقة الداخلية من الجبال  
الواقعة بالقرب من جازان (فيلبي ١٣٥٥/١٩٣٦م).

أسفل: منازل برجية عالية على قمة جبل بني مالك (تيسغر  
١٣٦٧/١٩٤٧م).





بيوت في معفجة في الجزء الغربي من وادي نجران. كانت البيوت الريفية العالية الحصينة والمبنية من طبقات من الطين سمة مميزة لوادي نجران ومناطق المرتفعات الأخرى الواقعة إلى الجنوب من أبها، مثل ظهران الجنوب وسراة عبيدة (فيلبي ١٣٥٥/١٩٣٦م).





حفلة زواج في وادي حلي في تهامة عسير الساحلية شمال حقل البرك البركاني (تيسيفر ١٣٦٥/١٩٤٥م).











قافلة تستقي من قصر أبا السعود في وادي  
نجران (فيلبي ١٣٥٥/١٩٣٦م).

سوق أسبوعي نشط في نجران (ثييفر  
١٩٤٧/١٣٦٧م).





تطبيب الجمال في بيشة، أحد مظاهر العلاقة بين الجمال  
والإنسان في شبه الجزيرة العربية (تيسفر ١٣٦٧/١٩٤٧م).





الاختصارات

- GJ *The Geographical Journal*, London.  
MEC, SAC Middle East Centre, St. Antony's College, Oxford.
- ALICE, HRH Princess, Countess of Athlone, *For My Grandchildren*. London, 1966.  
AMER, Mustafa "An Egyptian Explorer in Arabia in the 19th century", *Bulletin de la Société Royale de Géographie d'Égypte*, 18, pp.29-45. [On Muhammad Sadiq].  
ANTONIUS, G. *The Arab Awakening*. London, 1938.  
ARAMCO, *ARAMCO and its World*. Dhahran, 1980.  
*ARAMCO World Magazine*. May-June, 1984.  
ARRIYADH DEVELOPMENT AUTHORITY, *Al-Riyadh . . . al-ams. (Riyadh . . . Yesterday)*. Riyadh, 1990.  
ASAD, Muhammad See Weiss, L.M.  
BELL, Gertrude "A Journey in Northern Arabia", *GJ*, 44.  
BELL, F. (ed.), *The Letters of Gertrude Bell*. 2 vols. London, 1927.  
BIDWELL, Robin *Travellers in Arabia*. London, 1976.  
BLUNT, Lady Anne *A Pilgrimage to Nejd*. London, 1881.  
BRAY, N.N.E. *A Paladin of Arabia. The Biography of Brevet Lieut.-Colonel G.E. Leachman*. London, 1936.  
BULLARD, R. *The Camels Must Go*. London, 1961.  
BURTON, Sir Richard *Personal Narrative of a Pilgrimage to al-Madinah and Meccah*. London, 1855.  
BUTLER, S.S. "Baghdad to Damascus via El Jauf, Northern Arabia", *GJ*, 33, no.5, 1909, pp.517-535.  
CARRUTHERS, D. "Captain Shakespear's Last Journey", Part 1 in *GJ*, 59, no.5, May 1922, pp.321-334; Part 2 in *GJ*, 59 no.6, June 1922, pp.401-418. With map following p.400.  
*Arabian Adventure. To the Great Nafud in Search of the Oryx*. London, 1935.  
CHEESMAN, R.E. "The Deserts of Jafurah and Jabrin", *GJ*, 65, 1925.  
*In Unknown Arabia*. London, 1926.  
ÇIZGEN, E. *Photography in the Ottoman Empire, 1839-1919*. Istanbul, 1987.  
COE, B.W. "The Evolution of Photography", *British Journal of Photography*, 12 May, London, 1972.  
COE, B. and GATES, P. *The Snapshot Photographers: The Rise of Popular Photography, 1888-1939*. London, 1977.  
CORNWALL, P.B. "Ancient Arabia: Explorations in Hasa – 1940-41", *GJ*, 107, Jan-Feb 1946.  
DAME, L.P. "Four Months in Nejd", *The Moslem World*, 14, 1924.  
DE GAURY, G. *Arabia Phoenix*. London, 1946.  
*Arabian Journey*. London, 1950.  
"Memories and Impressions of the Arabia of Ibn Saud", *Arabian Studies II*, 1975, pp.19-32.  
DICKSON, H.R.P. *The Arab of the Desert*. London, 1949.  
*Kuwait and Her Neighbours*. London, 1956.  
DIDIER, C. *Séjour chez le Grand-Chérif de la Mekke*. Paris, 1857. Published in English as *Sojourn with the Grand Sharif of Makkah*. Cambridge, 1985.  
DOUGHTY, C.M. *Travels in Arabia Deserta*. Toronto, 1979.  
EUTING, J. *Tagbuch einer Reise in Inner-Arabien*. 2 vols. Leiden, 1896-1914.  
FACEY, W.H.D. *Riyadh – the Old City*. London, 1992.  
*The Story of the Eastern Province of Saudi Arabia*. Stacey International, London, 1994.  
FORBES, Rosita [Mrs McGrath] "A Visit to the Idrisi Territory in Asir and Yemen", *GJ*, October 1923, pp.271-278.  
FORDER, A. *With the Arabs in Tent and Town*. London, n.d.  
*Ventures among the Arabs*. Boston, U.S. 1905.  
FREEMAN-GRENVILLE, G.S.P. *The Muslim and Christian Calendars*. London, 1977.  
GERVAIS-COURTELLEMONT, J. *Mon voyage à la Mecque*. Paris, 1896.  
GOLDBERG, J. "Philby as a Source for Early 20th Century Saudi History: a Critical Examination", *Middle Eastern Studies* 21, pp.22-243.  
GOULDRUP, L. "The Ikhwan Movement of Central Arabia", *Arabian Studies* VI, pp.161-169. London 1982.  
GRAHAM-BROWN, S. *Images of Women: The Portrayal of Women in Photography of the Middle East, 1860-1950*. London, 1988.  
GRANT, G.M. (ed.) *Historical Photographs of the Middle East from the Middle East Centre, St. Antony's College, Oxford*. Leiden, 1985.  
GRANT, G.M. *Middle Eastern Photographic Collections in the United Kingdom*. Middle East Libraries Committee Research Guides 3, Durham, 1989.  
GUARMANI, C. *Northern Najd – A Journey from Jerusalem to Aniza in Qasim*. London, 1938.  
HABIB, J.S. *Ibn Sa'ud's Warriors of Islam: the Ikhwan of Najd and their Role in the Creation of the Sa'udi Kingdom 1910-1930*. Leiden, 1978.  
AL-HAGE, B. *Saudi Arabia: Images from the Past*. London, 1989. (In Arabic).  
HARRISON, P.W. *The Arab at Home*. London, 1924.  
HARVARD SEMITIC MUSEUM *Mecca: the First Photographs (1306AH/1886AD), Portfolio of Reproductions Presented by the Morgan Guaranty Trust of New York*.  
HILL, S., L. RITCHIE and B. HATHAWAY, *Catalogue of the Gertrude Bell Photographic Archive*. Newcastle-upon-Tyne, 1982.  
HOGARTH, D.G. *The Penetration of Arabia*. London, 1904.  
*The Hejaz before World War I*. London, 1917. Reprinted Cambridge, 1978.  
"Some Recent Arabian Explorations", *The Geographical Review*, 11, no.3, July, 1921.  
"Gertrude Bell's Journey to Hayil", *GJ*, 70, no.1, London, 1927.  
HUBER, C. *Journal d'un voyage en Arabie (1883-84)*. Paris, 1891.  
HUGO, Victor *Les orientales: poèmes*. Paris, 1829.  
HURGRONJE, C. *Snouck Mekka, die Stadt und ihre Herren*. Leiden, 1888.  
*Bilder Atlas zu Mekka*. Leiden, 1889.  
*Bilder aus Mekka*. Leiden, 1889.  
JAUSSEN and SAVIGNAC, *Mission archéologique en Arabie*. Paris, 1909-14.



- KIERNAN, R.H. *The Unveiling of Arabia*. London, 1937.
- LAWRENCE, T.E. *Seven Pillars of Wisdom*. London, 1926.
- LEACHMAN, G. "A Journey through Central Arabia", *Gf*, 43, 1915.  
Diaries. MEC, SAC, Oxford, unpubl.
- LEBKICHER, R., G. RENTZ and M. STEINEKE *The Arabia of Ibn Saud*. New York, 1952.
- LORIMER, J.G. *Gazetteer of the Persian Gulf, Oman and Central Arabia*. 2 vols. Calcutta, 1908-15.
- MACKIE, J.B. "Hasa: an Arabian Oasis", *Gf*, 53, March, 1924.
- McLOUGHLIN, L. *Ibn Saud, Founder of a Kingdom*. London, 1993.
- MALMIGNATI, Countess *Through Inner Deserts to Medina*. London, 1925.
- MANSEL, P. *Sultans in Splendour: The Last Years of the Ottoman World*. London, 1988.
- MAUNSELL, F.R. Article on Hijaz Railway, *Gf*, 24.
- MONROE, E. *Philby of Arabia*. London, 1973.
- MUSIL, A. *The Northern Hegaz*. New York, 1926.  
*Northern Negd*. New York, 1928.  
*The Manners and Customs of the Rwala Bedouins*. New York, 1928.  
*The Arabian Desert*. New York, 1930.
- NICHOLSON, E. *In the Footsteps of the Camel. A Portrait of the Bedouins of Eastern Arabia in Mid-Century*. Riyadh/London, 1983.
- NOLDE, Baron, E. *Reise nach Innerarabien, Kurdistan und Armenien*. Brunswick, 1895.
- PALGRAVE, W.G. *Narrative of a Year's Journey Through Central and Eastern Arabia (1862-3)*. 2 Vols. London, 1865.
- PELLY, L. *Report on a Journey to Riyadh in Central Arabia, 1865*. Bombay, 1866. (Reprinted Cambridge, 1978).
- PEREZ, N. *Focus East: Early Photography in the Near East (1839-1885)*. New York, 1988.
- PESCE, A. (ed.) *Makkah a Hundred Years Ago or C. Snouck Hurgronje's Remarkable Albums*. London, 1986.
- PHILBY, H.St.J.B. "Across Arabia: from the Persian Gulf to the Red Sea", *Gf*, 56, 1920.  
*The Heart of Arabia*. 2 Vols., London, 1922.  
*Arabia of the Wabbabis*. London, 1928.  
*The Empty Quarter*. London, 1933.  
*A Pilgrim in Arabia*. London, 1946.  
*Arabian Jubilee*. London, 1952.  
*Arabian Highlands*. Ithaca, 1952.  
*Saudi Arabia*. London, 1955.  
*The Land of Midian*. London, 1957.  
*Forty Years in the Wilderness*. London, 1957.
- PIRENNE, Jacqueline *À la découverte de l'Arabie*. Paris, 1958.
- PITT RIVERS MUSEUM *Wilfred Thesiger's Photographs, "A Most Cherished Possession"*. Exhibition Catalogue introduced by E. Edwards, Oxford, 1993.
- RASWAN, C.R. *Black Tents of Arabia (My Life Among the Bedouins)*. Boston, U.S. 1935.
- RAUNKIAER, B. *Gennem Wabbabiternes Land paa Kameltrygg* (1912). Copenhagen, 1913. [Includes Raunkiaer's photographs].  
*Through Wabbabiland on Camelback*. 1912. Abridgement of Raunkiaer's 1913 original, translated and printed for G.B. Admiralty War Staff, London, 1916.  
*Through Wabbabiland on Camel-back*. London, 1969.
- RENDEL, George *The Sword and the Olive*. London, 1957.
- RENDEL, Geraldine "Across Saudi Arabia", *Geographical Magazine*, 6, 1938.
- RENTZ, George "Philby as a Historian of Saudi Arabia", *Sources for the History of Saudi Arabia*, Part 2, Riyadh, 1979, pp.25-35.
- RIFAAT, I. *Mirat al-Haramayn*. Cairo, 1925.
- RIHANI, A. *Ibn Sa'oud of Arabia. His People and his Land*. London, 1928.  
*Around the Coasts of Arabia*. London, 1930.
- RUTTER, Eldon *The Holy Cities of Arabia*. London, 1928.
- RYAN, A. *The Last of the Dragomans*. London, 1951.  
Ryan Papers. MEC, SAC. Oxford, unpubl.
- SADIQ, M.S. *Nubdah fi istikhsaf tariq al-'amid al-hijaziyyah min al-Wajh wa Yanbu' al-Babr ila al-Madinah al-Nabawiyyah, (A Short Account of the Exploration of the Hijaz Routes from Wajh and Yanbu' al-Babr to al-Madinah)*. Cairo, 1294 AH/AD 1877.  
"Medina il y a vingt ans", *Bulletin de la Société Khédiviale de la Géographie du Caire*, 1ère série, No. 8, May 1880.  
*Mish'al al-Mahmal*. Cairo, 1881.
- SHAKESPEAR, W.H.I. Diary. Private Collection, H.V.F. Winstone, unpubl.
- THESIGER, W. "A Journey through the Tihamah, the Asir and the Hijaz Mountains", *Gf*, 110, 1947, pp.188-200.  
*Arabian Sands*. London, 1959.  
*Desert, Marsh and Mountain. The World of a Nomad*. London, 1979.
- THOMAS, Bertram *Arabia Felix*. London, 1932.
- TIDRICK, K. *Heart-beguiling Araby. The English Romance with Arabia*. Cambridge, 1981.
- TRENCII, R. *Arabian Travellers*. London, 1986.
- TROELLER, G. *The Birth of Saudi Arabia*. London, 1976.
- TUSON, P. *The Records of the British Residency and Agencies in the Persian Gulf*. India Office Library and Records, London, 1979.
- TWITCHELL, K.S. "Water Resources of Saudi Arabia", *Geographical Review*, 34, 1944.  
*Saudi Arabia. With an Account of the Development of its Natural Resources*. 2nd edition, Princeton, 1953.
- VACZEK, L. and G. BUCKLAND *Travellers in Ancient Lands: A Portrait of the Middle East, 1839-1919*. Boston, 1981.
- VAN DER MEULEN, D. *The Wells of Ibn Saud*. London, 1957.
- VAN PEURSEM, G.D. "The Arabian Mission and Saudi Arabia", *The Muslim World*, 38, 1948, pp.6-10.
- VIDAL, F.S. *The Oasis of al-Hasa*. Dhahran, 1955.
- WAHBA, H. *Arabian Days*. London, 1964.
- WALFORD, G.F. *Arabian Locust Hunter*. London, 1963.
- WALLIN, G.A. *Travels in Arabia (1845 and 1848)*. Cambridge, 1979.
- WAVELL, A.J.B. *A Modern Pilgrim in Mecca*. London, 1912.
- WEISS, L.M. [Muhammad Asad] "Riadh. Die Stadt des Königs Ibn Sa'ud", *Atlantis*, Berlin, 1930, pp.522-530.  
*The Road to Mecca*. New York, 1954.
- WINDER, R. Bayly *Saudi Arabia in the Nineteenth Century*. London, 1965.
- WINSTONE, H.V.F. *Captain Shakespear*. London, 1976.  
*The Illicit Adventure*. London, 1982.  
*Leachman: O.C. Desert*. London, 1982.
- WINSTONE, H.V.F. and Z. FREETH *Explorers in Arabia*. London, 1978.
- WITKAM, J.J. *Hondred Jaar Mekka in Leiden: 1885-1985*. Exhibition Catalogue, Leiden, 1985.
- ZWEMER, S.M. *Arabia: the Cradle of Islam*. New York, 1900.



## الفهرس

آل سعود، عبد العزيز، ٨-١٠، ١٣-١٥، ٢١، ٢٣، ٥٩، ٩٢، ٩٥	بيل، غيرتروود، ١١، ١٢، ٢٠، ٢٢، ٥٧-٨٣، ٨٥	دومة الجندل، ١٢، ٧٤، ٨٨، ٨٩
آل سعود، الإمام فيصل بن تركي، ١٠	بيليفن، اللورد، ١٥	ديديه، تشارلز، ٩
آيلهار، ١١	بيلي، ٩	دي غساوري، جيرالد، ١٥، ٥٨، ٦٦
أبها، ١٠، ١٠٩-١٢١، ١١١	تاروت، جزيرة، ١٠٢	ديكسون، هارولد، ١٥
أبوتايه، عودة، ٨٠	تبوك، ٢٦، ٤٠، ٤١، ٤٣	رأس تنورة، ١٠٦
أبو عريش، ١١٧	تهامة، ٣، ٤، ٩، ١٠، ١٠٨، ١١٤، ١١٦-١٢١	وايان، أندرو، ١٥
أجا، جبل، ٧٤	نوماس، بيرترام، ٩، ٢٣، ١٠٥	الربع الخالي، ٩، ٢٢، ٢٣، ٥٦، ٩٢، ١٠٤، ١٠٥
الأحساء، واحة، ١٠، ١١، ١٤، ١٥، ٩٢، ٩٨-١٠١، ١٠٠	تويدي، أوين، ٤٦	رسوان، كارل، ١٤، ٨٥
١٠٢، ١٠٣	تيماء، ٧٤، ٩٠	رشيد، ابن، ١١، ٧٤
الأخضر، ٤٣		رفعت، اللواء إبراهيم، ٢٠، ٣٣، ٣٦-٣٩
الإخوان، ٩٥	ثاج، ١٢، ١٣، ٩٢	الرحمة، ٧٠، ٧١
الإدرسي، محمد، ١٠	الثورة العربية: ١٠، ١٥، ١٦، ٥٥	روضة التنهات، ٧١
أرامكو، ١٤، ١٥، ٥٠، ١٠٠، ١٠٦	تيسغفر، وفريد، ٩، ١٦، ٢٢، ٢٣، ٧٠-٧٢، ٩٨، ٩٩	الرولة، ٢، ٣، ١٠، ١٤، ١٧، ٧٤، ٨٥، ٨٦، ٩١
أسد، محمد، ١٤	١٠٥، ١٠٨، ١٢٤	رونكيار، باركلي، ١٢
		الرياض، ١١، ١٤، ١٥، ١٦، ٢٢-٢٣، ٥٦، ٥٧-٦٧
	جاوسين، ١١، ٢١، ٩٠	الريحاني، أمين، ١٤، ٥٨
أشراف (مكة)، ٩، ١٠، ١٥، ٢٦	الجيل، ١٠٢	ريندل، جورج، ١٥، ٦٠، ٦١، ٦٦، ٩٩
أملج، ٥٥	جدة، ٩، ١٠، ١٤، ١٩، ٢١، ٢٦، ٤٤-٥١	
أوتويل، ٢٠	الجوف، ٩-١٤، ٧٤، ٨٨، ٨٩	سافيناك، ١١، ٢١، ٩٠
أوليفار، فلويد، ١٥، ٥٠، ٥١	جازان، ١٠، ١١٤-١١٧، ١١٩	ستاتينيكي، ماكس، ٤، ١٥، ٤٨، ٥٣، ٦٢-٦٥، ١٠٢
إيستان، جورج، ٢١		سدبر، ١٠، ٥٦
أبوتينغ، ٩	حائل، ١٠-١٢، ١٥، ٢٠، ٢٢، ٥٦، ٧٤، ٧٥-٨٠	السرطان، وادي، ١٠، ٧٤، ٩١
	الحجاز، ١٥، ١٦، ١٩، ٢٣، ٢٦، ٤٠، ١٠٨	سكاكا، ٧٤
باتيجيلي، إيلو، ١٥، ٩٤، ٩٧، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٦	الحجاز، سكة حديد، ٩، ١١، ٢١، ٤١، ٤٢-٤٤	سكوت، فريدريك - آرشر، ١٨
بالغريف، ٩	حكيم، سليمان، ٢٦	السودة، جبل، ١١٢
الباحة، ١٠٨، ١١٢	حلي، وادي، ١٢١	المويس، قناة، ٨، ٩، ٤٥
باشا، محمد علي، ٩، ١٠، ١٨	حنيفة، وادي، ١٥، ٥٦، ٥٨	
باشا، مدحت، ١٠	الحريطات، ١، ٨٠	شرقاط، قلعة، ٢٢
الباطن، وادي، ٨٢		الشعلان، ١٠، ٧٤
بتلار، ١١	خالد، بني، ٩٢	شقراء، ٧٢
البديعة، ١٤، ٥٨	الخرج، ٥٦، ٦٦	شكسبير، وليام، النقيب، ١١، ١٢، ١٤، ٢١، ٢٢، ٥٧، ٥٨، ٦٨، ٨٩، ٩٢، ٩٥
برونيلشي، ٨	الخزعة، ١٠	الشمسية، ١٢، ٥٨
بريدة، ١١، ١٢، ١٦، ٥٦، ٦٨-٦٩		شيرمان، ٩٥
بلانكوارت - إيفارد، ١٨	داغوير، جاك ماندييه، ٨، ١٨	صادق، العقيد محمد، ٨، ٩، ١٨، ٢٦
بني مالك، جبل، ١١٩	داوتي، ٩، ١٢، ١٦	صيبا، ١٠، ١١٧
بني مغيد، أمراء، ١٠	دخنة، بوابة، ٦٢، ٦٣	الصفاء، ساحة، ٥٨، ٥٩
بولارد، ريدار، ١٥	الدرعية، ١٠، ٥٦	
بيرتون، ريتشارد، ٩	دمشق، ١٩، ٢١، ٢٢، ٢٦، ٣٢، ٤٣	
بيشة، ١٢٤		
	الدهناء، ٥٦	الصفاء، ٨٤، ٨٥
بيك، عني، ١٨		



كارونيرز، دوغلاس، ٢، ٣، ١٠، ١١، ١٤، ١٧، ٢١	ماونتين، جو ١٥	نجد، ١٠-١٢، ١٥-١٧، ٢٢، ٥٦، ٧٠، ٧٤، ٩٤، ١٠٨	مولت، ١٢، ٨٤، ٨٨، ٩١
كاف، احدى قرى قربات الملح ٩١	محرم، وادي، ٥٤	نجران، ١٠٨	ابن الفيشم، أبو علي الحسن، ٨
كامبل، ٥٢	المحمل، ٣٢	نجران، وادي، ١٢٠	هيفو، فيكتور، ١٩
كليمو، الدكتور إف. جي.، ٤٤، ٤٥	مدائن صالح ٤١	النفود الكبير، ١٠، ٢٢	وافيل، إتش. أيه. ٢١
كوذاك، ٢١، ٢٠	المدينة المنورة، ٨، ٩، ١٧-٢١، ٢٦، ٣٤-٣٩، ٥٣	النباص، ١١٢	والترز، تي. إف.، ١٥٠، ١٦٦، ١٠٧
كورناليون، جول غيرفي، ٢١، ٢٠	مرات، ٧٢-٧٣	نولدا، البارون فون، ٩٠	والين، ٩
كوكس، السير بيرسي ١٠٢	المره، ٩٢، ١٠٤	هالاجيان، جيه. إتش.، ٢١، ٣٧، ٤٠-٤٣	الوجه، ٩، ١٨، ٥٢
الكويت، ١٤، ١٥، ٢١	مروة، ٤، ٥	هاميلتون، آر. إي. أيه، ١٥	الوشم، ٥٦
لورانس، تي. إي.، ١٥، ١٦، ٢٢، ٢٣، ٤٧، ٥٣، ٥٥	المعظم ٤١	الخفوف، ١٠، ٢٣، ٩٢، ٩٦، ٩٩	ينبع، ٩، ١٨، ١٩، ٢٦، ٥٣
ليشمان، جيرارد، ١٢، ٦٩	مكة المكرمة، ٨-١٠، ١٦، ١٧-٢١، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٣١-٣٣	هوبر، ٩	
مادوكس، آر. إل. ١٩	منى، وادي، ٣٠	هورغرونييه، الدكتور كريستيان سنوك ("عبد الغفار")، ٩، ١٣، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٨، ٢٩	
ماونسيل، ٤٠	موسيل، آلويس، ١١		
	ميرزا، إتش. أيه.، وأولاده ١١، ٢٨، ٢٩-٣١، ٣٤، ٣٥		



